البيان
مجلة أدبية ثقافية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين
العدد 581 ديسمبر 2018

رحيل الأستاذ الدكتور عبدالله المهنا

.. إنسان العلم والأخلاق

البيان

العـــــدد 581 ديسمبر 2018

مجلة أدبية ثقافية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين

صدر العدد الأول في أبريل (1966)

الإشراف العام
طلال سعد الرميضي

رئيس التحرير
عائشة الفجري

الهيئة الاستشارية
د. فيصل القحطاني
د. صباح السويفان

سكرتير التحرير
عدنان فرزات

التدقيق اللغوي
خليل السلامة

الإخراج الفني
محمد الخطيب

موقع رابطة الأدباء على الإنترنت
www.alrabeta.org

البريد الإلكتروني
elbyankw@gmail.com
elbyan@hotmail.com

وزارة الإعلام - مطبعة حكومة دولة الكويت

مجلة «البيان» مجلة أدبية ثقافية، تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، وتعنى بنشر الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، ويتم النشر فيها وفق القواعد التالية:

1 - أن تكون المادة خاصة بمجلة البيان وغير منشورة أو مرسلة إلى جهة أخرى.
2 - المواد المرسلة تكون مطبوعة ومدققة لغويا ومرفقة بالأصل إذا كانت مترجمة.
3 - يفضل إرسال المادة محملة على CD أو بالإيميل.
4 - موافاة المجلة بالسيرة الذاتية للكاتب مشتملة على الاسم الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف ورقم الحساب المصرفي.
5 - المواد المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها فقط.
6 - مكافأة النشر 100 يورو، ويسقط حق المطالبة بها في حال عدم استلامها بعد 6 أشهر.

ثمن العدد

الكويت: 500 فلس، البحرين: 750 فلسًا، قطر: 8 ريالات، دولة الإمارات العربية المتحدة: 8 دراهم، سلطنة عمان: ريال واحد، السعودية: 8 ريالات، الأردن: دينار واحد، سورية: 50 ليرة، مصر: 3 جنيهات، المغرب: 10 دراهم.

الاشتراك السنوي

للأفراد في الكويت: 10 دنانير
للأفراد في الخارج: 15 دينارًا أو ما يعادلها
للمؤسسات والوزارات في الداخل: 20 دينارًا كويتيًا
للمؤسسات والوزارات خارج الكويت: 25 دينارًا كويتيًا أو ما يعادلها

المراسلات

رئيس تحرير مجلة البيان
ص.ب 34043 العديلية - الكويت، الرمز البريدي 73251
هاتف المجلة: 22518286 965+
هاتف الرابطة: 25106022 / 22518282
فاكس: 22510603

Al Bayan

LITERARY MAGAZINE ISSUED
BY KUWAITI WRITERS' ASSOCIATION
(581) December 2018

General Supervision
Talal Saad Alrumaidhi

Editor in chief
Aisha Al-Fajri

Advisory Body
Dr. Faisal Al-Qahtani
Dr. Sabah Al-Swifan

Correspondence Should be Addresses to:

The Editor,
Al Bayan Magazine
P.O.Box: 34043 Audilyia - Kuwait
Code: 73251 - Fax: +965 22510603
Tel.: (Magazine) +965 22518286 - 22518282 - 22510602

المحتوى

كلمة البيان 5

- إجماع على الأخلاق الإنسانية والمهنية ..... البـــيـــان 6

ملف خاص
أ.د. عبد الله المهنا .. إنسان العلم والأخلاق 9

- السيرة الذاتية.. أ. د. عبد الله المهنا 10
- قف.. للمعلم ..... عبدالعزيز السريع 12
- عبدالله المهنا.. الأستاذ ..... د. نورية صالح الرومي 16
- الدكتور عبدالله المهنا وقضية الثقافة ..... د. ياسين الياسين الإبراهيم 20
- الدكتور عبد الله مهنا وملامح شخصية ..... د. أبو اليزيد العجمي 24
- الدكتور عبدالله المهنا.. منارة لم تنطفئ ..... سعاد عبدالله العتيقي 28
- أيُّها الفارس الذي ترجَّل... وداعـاً.. ..... د. وهب رومية 30
- عبدالله المهنا.... وقراءة الشعر ..... د. سالم خداده 34
- لا أقول وداعا أخي الحبيب .. دكتور عبدالله المهنا ..... د. محمد الجليند 40
- الأب الروحي ..... د. لطيفة جاسم التمار 44
- هَوَى ما استطعْنَاه.. د. عبد الله المهنا.. وداعًا ..... د. سعيد شوارب 48
- أ. د. عبدالله المهنا .. ذكريات لا تُنْسى ..... د. أحمد بكري عصلة 56
- عبدالله المهنا.. كتاب صفحاته مشرعة بسخاء ..... عدنان فرزات 66
- .. ورحل عبدالله المهنا ..... محمد الفارس 68
- صعدتَ إليهِ سَجّاداً تُصَلي ..... مشاري الموسى 70
- مَهْلاً أيُّهَا الرَّجُلُ .. صوتان في قصيدة .. .. د. سعيد شوارب 72

دراسات 77

- الثقافه العربية في بلاد ما وراء النهر ..... نادر بن وثير 78
- مادحة الرسول ﷺ (فِطْنَتْ هانم) ..... مرفت أمين الشبراوي 87

شعر 92

- المولد النبوي الشريف ..... ندى يوسف الرفاعي 93

محطات قلم 96

- رجل العلم والأخلاق الذي رحل عنا ..... طلال سعد الرميضي 96

كلمة البيان

إجماع على الأخلاق الإنسانية والمهنية

حين تكون أفعالك التي تركتها في الحياة هي التي تتحدث عنك، فهذا يعني أنك لن ترحل. الذي يتركه أثرك في الحياة أهم من الصخب الصوتي الذي تقوم به خلال حياتك.

هذا الكلام ينطبق بحرفيته على الأستاذ الدكتور عبدالله المهنا، يرحمه الله، الذي فقدته الأوساط الثقافية ليس فقط في دولة الكويت، بل وفي كل محفل ثقافي عربي وحتى عالمي لامتداد أعماله إلى خارج النطاق الإقليمي.

مجلة البيان في هذا العدد تفرد أشرعة صفحاتها لتبحر في عالم هذا الأكاديمي الباحث والمبدع والمؤسس أيضاً. فمن الحرم الجامعي إلى ساحات الأدب وحوار الثقافات في العالم، مسيرة عميقة حققها إبان حياته الأستاذ الدكتور عبدالله المهنا.

في وقت من الأوقات، كان الراحل يضع الأسس الإدارية والأكاديمية والعلمية الصحيحة لبناء يستمر أبد الدهر، لذلك فقد تجذرت أعماله في وجدان المجتمع معتمداً على التوازنات الذكية ما بين عقلية متفتحة وأخلاق محافظة. فكان كل من درس على يديه أو عمل معه يخرج بانطباع إنساني ومهني في وقت واحد. وهي معادلة صعبة التحقيق إلا من امتلك أمرين:

أخلاقيات المهنة والرغبة في التأسيس لأجيال متلاحقة وليس لنفسه فقط أو للفترة التي يكون فيها على رأس عمله. لذلك فالذين عملوا مع الراحل المهنا كانوا يقولون بأنه رجل مؤسسات بحيث أسهم في بناء الصرح والإنسان.

الصفات التي ذكرناها يُجمع عليها كل من عرفه، وهو ما يشهد له به الذين عاصروه في العمل، حيث يقول الدكتور سعود محمد العصفور في مقالة له بصحيفة القبس: "من يعرفه بصمته، في دماثة خلقه، يعرف فيه الهيبة والوقار، في زمن نفتقر لأمثاله من أصحاب الأخلاق والفضائل والمبادئ. عندما تراه تسابق بسمته محياه، في حياء تَمٍ، وتواضع جَمٍ، ونفس محبة للخير وأهله".

والشهادة نفسها يدلي بها الدكتور ياسين الياسين رئيس قسم الإعلام السابق في مقالة له في الصحيفة نفسها: "هالني من أول لقاء معه حسن أخلاقه وطيبة قلبه، فكان ينشر على من حوله الهدوء ويرسم ابتسامة تبعد في دماثتها وعذوبتها كل ما في القلوب من قلق على مستقبل وأحزان على ماضٍ كئيب. عرفت حبه للعلم، خصوصاً اللغة العربية وآدابها".

هذا الهدوء الرزين والوقور الذي كان يتمتع به، يرحمه اللّه، جعله ينتسب إلى رابطة الأدباء الكويتيين في وقت متأخر، ولكن الوقت لا يعني الكثير أمام مكانة الإنسان العلمية، فقد شكل انتسابه إضافة كبيرة للرابطة، نعتز بها.

وفي هذا المقام، فإن رابطة الأدباء الكويتيين، تأمل أن تهتم الجهات المعنية أكاديمياً وثقافياً بمسيرة الراحل، وتخلد ذكراه بمختلف الوسائل، ونحن نعلم أن إصدار عدد تذكاري عن الراحل لا يمنحه كامل ما يستحقه، ولذلك، فإننا نناشد الجهات التعليمية والثقافية والرسمية أن تلتفت إلى مسيرة الراحل، خصوصاً وأنه من أوائل الكويتيين الذين تم انتخابهم لعضوية مجمع اللغة العربية العريق، هذا ناهيك عن عمادته لكلية الآداب وتواصله مع الغرب من خلال مركز البابطين لحوار الحضارات، وما تركه من إرث أكاديمي في المؤلفات والأبحاث.

رحم اللّه الأستاذ الدكتور عبداللّه المهنا الذي أجمع كل من عرفه على أخلاقياته الإنسانية والمهنية.

ملف خاص

أ. د. عبد الله المهنا

.. إنسان العلم والأخلاق

السيرة الذاتية *
أ.د. عبد الله المهنا

- عبدالله أحمد المهنا.
- مواليد الكويت ١٩٤٢م.
- حاصل على شهادة الدكتوراه، للغة العربية وآدابها - كلية الآداب: الشعر العربي القديم، من جامعة كيمبردج في بريطانيا عام ١٩٧٥م.
- أستاذاً في قسم اللغة العربية وآدابها يونيو ١٩٩٩م.
- أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها ١٩٨٠/٤/٥ إلى ١٩٩٩/٦/١١م.
- مدرس - قسم اللغة العربية وآدبها من ١٩٧٨/٦/٧ إلى ١٩٨٠م.
- عميد كلية الآداب المساعد - جامعة الكويت ١٩٧٨/١/١٦ إلى ١٩٨٠م.
- رئيس قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب، جامعة الكويت من ١٩٧٦/٣/٦م إلى ١٩٧٩/٨/٣١م.
- عميد كلية الآداب - جامعة الكويت للعام ١٩٨٨ - ١٩٨٩م.
- عميد كلية الآداب من يناير ١٩٩٤م إلى أغسطس ٢٠٠٠م.
- رئيس لجنة الترقيات في الكلية ٢٠٠٣ - ٢٠٠٧م.
- أستاذ زائر لجامع متشجان - آن أربر للعام الجامعي ٨٠ - ١٩٨١م.
- عضو مجلس إدارة المعهد العالي للفنون المسرحية ١٩٨٠ م - ١٩٩٠م.

* عن معجم أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين.

- مؤسس مكتبة المخطوطات العربية بجامعة الكويت ١٩٧٦م.
- عضو لجنة قانون التعليم العام ١٩٨٧م.
- رئيس تحرير مجلة عالم الفكر - وزارة الإعلام ١٩٩٢ - ١٩٩٤م.
- مستشار مركز عبدالعزيز سعود البابطين لحوار الحضارات ٢٠٠٥م وحتى وفاته.
- محكم علمي لعدة مجلات علمية وجوائز أدبية منها مجلة عالم الفكر والمجلة العربية للعلوم الإنسانية وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي وجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ومجلة جامعة الملك سعود وجائزة عبدالعزيز سعود البابطين في الإبداع النقدي وجائزة سلطان العويس الثقافية.
- **من أعماله الأدبية**

- القصص الشعبية العراقية (ترجمة بالاشتراك)، شركة كاظمة، الكويت، ١٩٨٣م.
- الشاعر عبدالمحسن الرشيد البدر - مجلة البيان - الكويت - العدد ٣٥٥ فبراير ٢٠٠٠م.
- «ديوان بوح البوادي» في عيون بعض النقاد العرب - مجلة البيان - الكويت العدد ٤١٤ يناير ٢٠٠٥م.
- وداعاً عبده بدوي شاعر الحب والموت، مجلة البيان - الكويت العدد ٤١٧ إبريل ٢٠٠٥م.
- أنماط وصور من البنية الشعرية عند العدواني - الكتاب التذكاري الصادر عن قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الكويت احتفاء بذكرى فقيد اللغة العربية أ.د. مصطفى النحاس، جامعة الكويت ٢٠١٠م.
- «تجربة الاغتراب عند نازك الملائكة» كتاب تذكاري عن نازك الملائكة أصدره قسم اللغة العربية بجامعة الكويت. نشر شركة الربيعان، الكويت ١٩٨٥م.

قف .. للمعلم

بقلم: عبدالعزيز السريع *

عندما التحقت بالعمل في دائرة المعارف عام 1956م كنت حينها طالبًا، وكان الوقت صيفًا في أثناء العطلة المدرسية. ولمّا حل موعد العودة للدراسة تمردتُ على العودة إليها، فحاول الأهل إقناعي بعكس ذلك، لكنني فرحت بجو العمل والأجر اليومي الذي أتقاضاه. واشتد الضغط علي، وكان أن طلب والدي -رحمه الله- من الجميع أن يتركوا القرار لي، وهكذا وجدتني عام 1958م ألتقي بصديق العمر الفنان الكبير صقر الرشود الذي كان قد اتخذ المسار نفسه؛ فقد ترك التعليم وانصرف للعمل بمخازن المعارف وهناك نشأت بيننا علاقة مثالية أعتز بها أيما اعتزاز.

وفي العام 1966 وقد أصبح صقر نجمًا لامعًا ومعروفًا ومحبوبًا على نطاق واسع سافرنا لعرض مسرحيته (الحاجز) في بغداد ثم في القاهرة وهناك حاول صقر الالتحاق بالمعهد العالي للفنون المسرحية، ونحن جميعًا كنا ندعمه لتحقيق ذلك، لكن كل الجهود -بما في ذلك جهود السفير المرموق حمد الرجيب والدكتور علي الراعي رئيس مؤسسة المسرح حينها- لم تفلح بسبب عدم حصوله على شهادة الثانوية العامة وقتها والتي كانت من متطلبات الالتحاق بالمعهد، فغضب وبكى بكاءً حارًا.

* كاتب كويتي.

وعندما عدنا إلى الكويت بعد النجاح الكبير الذي حققناه، ظل صقر يشعر بالأسى لعدم قبوله، وأصر على تحقيق ذلك بالسعي للحصول على الثانوية العامة، فغادر إلى مملكة البحرين الشقيقة، حيث استقبله الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة نائب مدير المعارف هناك، وسمح له بأداء امتحان الثانوية العامة مباشرة تقديرًا لمكانته وشهرته التي وصلت إليهم.. فنجح صقر وحصل على معدل عالٍ أهلّه لدخول الجامعة فالتحق بكلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية.. بعد أن اقتنع بوجهة النظر التي تقول بأنه حقق في المسرح ما لم يحققه خريجو المعهد.

انهالت علي النصائح من الزملاء وأساتذة الجامعة الذين تعرفت إليهم عن طريق الأمانة العامة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب حيث أعمل.. الكل يدعوني للاحتذاء برفيقي صقر والالتحاق بالجامعة، فكان أن تبعت خطواته نفسها، فنجحت وحصلت على معدل مناسب حينها، فالتحقت بقسم اللغة العربية بجامعة الكويت الذي كان آنذاك يخلو من المدرسين الكويتيين لكني فوجئت بأن المرشد المخصص لي ولعدد من زملائي الذين التحقوا بنفس الفترة هو الدكتور عبدالله المهنا، وكان قد التحق توًا بالعمل مدرسًا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الكويت، لم أكن أعرفه ولكنني تعاملت معه كمشرف واخترت مواد الفصل الدراسي الأول تحت إرشاده وكانت مادة الشعر الجاهلي ضمن اختياراتي فنبهني إلى صعوبتها ونصحني بالبدء بالأسهل ولكنني أقنعته بالموافقة على اختياري عندما أخبرته بأنني أحب الشعر الجاهلي وخاصة شعراء المعلقات.. وعندما بدأت الدرس اكتشفت أنه هو شخصيًا الذي يتولى تدريس مقرر الشعر الجاهلي وكان المقرر صعبًا فعلاً لكنني تمتعت بهذا الدرس وكان الدكتور عبدالله أحمد المهنا أستاذًا عظيمًا ورائعًا ورغم أنه جاد جدًا يكاد لا يبتسم وحازم جدًا في تعامله ومتشدد في ضرورة توصيل المعلومة والبحث عنها وتحصيلها.. حيث كان يخصص وقتًا للمكتبة وكان يفرض علينا قراءة «ولدز ورث» في مقالته عن عبيد بن الأبرص باللغة الإنجليزية إلا أننا استفدنا كثيرًا..

وقد اصطدمت به عندما نهرني أمام زملائي عندما استفزته مقابلة صحفية أجريت معي وقلت فيها بغرور الشباب أنني لا أحتاج للشهادة الجامعية وسوف أحصل عليها للزينة فقط لأنني كنت

موظفًا مستقرًا ورب أسرة وابني الكبير منقذ يتهيأ لدخول الجامعة..

كان غضبه مبررًا لأنه شعر بأنني أقلل من شأن التعليم الجامعي وأنه ليس ضروريًا، بل للزينة وعنفني واحتد غاضبًا ولم أرد لأنني كنت في غاية الانفعال ولو حدث أن قمت بالرد لكانت الواقعة مثيرة، لكنني سكت وسط توتر جو المحاضرة وانتهت، فخرجت منها وعندي قرار بالانسحاب من الجامعة وغبت عن المحاضرة التالية لكنني جلست مع نفسي وقررت الذهاب إليه في مكتبه وهناك عاتبته وقلت له إنني لم أقصد إهانة الجامعة أو التقليل من شأنها ولو شئت ذلك ما التحقت بها أصلاً وقد أخجلني بردّه الذي هوّن علي المسألة واعتبرها من الحوادث المألوفة ولم يقصد فيها تعمد إهانتي أو التقليل من احترامي وكان من أثر ذلك أن صار أستاذًا وصديقًا.

وأكملت الجامعة وتخرجت عام 1980 وحثني على استكمال تعليمي العالي بعد حصولي على القبول كمعيد بعثة.. لكنني لم أشأ ذلك وعدت لعملي وبعد تخرجي بقليل التحق منقذ بالقسم نفسه وكانت الصدفة الجميلة أن مرشده كان الدكتور عبدالله المهنا، وعندما أبلغني سارعت للاتصال بالدكتور عبدالله وقلت له إن شاء الله سيكون الحفيد من تلاميذك أيضًا..

نعمت بصحبة الدكتور عبدالله وتابعت بحب وإعجاب ترقياته إلى أستاذ مساعد ثم أستاذ كما شهدت رئاسته لقسم اللغة العربية ثم عمادته لكلية الآداب وقرأت كتاباته وكتبه وطلبت منه التعاون مع مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية وأبدى روحًا طيبة.. والجدير بالذكر أنه رفض المكافآت المخصصة له كمستشار للشؤون الأكاديمية في المؤسسة، وقال بأنه يساهم في خدمة الثقافة والتعليم متطوعًا.. ثم صار عضوًا في مجلس أمناء المؤسسة، وقد أحبه الجميع لدماثة خلقه ولعلمه الغزير وكتاباته الرصينة الموفقة.

كان مثالاً للعالم المتواضع المحترم وكان حازمًا وجادًّا في عمله وسلوكه.. لقد تمتعت بصحبته وبأستاذيته واستفدت من علمه وفضله الكثير.. وإن نظرة إلى كتبه وأبحاثه تدلك على ما كان يتمتع به من علم وفضل.

رحم الله أستاذي، وأسكنه فسيح جناته.. والعزاء لرفيقة عمره وشريكته في العطاء والعلم والمعرفة الأستاذة الدكتورة حياة الحجي أستاذة التاريخ وعميدة كلية الآداب سابقًا.

عبدالله المهنا.. الأستاذ

كان بالأمس بيننا، واليوم نتنادى لتأبينه في كلمات وسطور، والصورة ماثلة أمام العين، وأروقة قسم اللغة العربية وردهاتها تصوره ماراً هنا وهناك، ومكتبه في قلب القسم ينادي الأساتذة والزملاء الذين تعودوا الجلوس به والحديث معه، وكنت أقف عند الباب بقدم في داخله وأخرى خارجه أسلم عليه فيلح في طلبه بالولوج والجلوس معه.

بقلم: د. نورية صالح الرومي *

تناولت كتاباً من كتبه للكتابة عنه لكن استدعاء ذكرياتي في مرحلة دراستي الجامعية ألحت علي، فقد كنت مع زميلاتي في مدرج قسم اللغة العربية بكلية الآداب في سنتنا الدراسية الأولى بجامعة الكويت لدراسة مادة (عروض الشعر)، وإذ به يدخل علينا يافعاً يتأبط كتباً، سلّم وردت زميلاتي عليه التحية، بينما كنت صامتة متأملة ملامحه التي اختلفت عن كل الذين دخلوا علينا قاعة الدرس من الأساتذة العرب.

بدأ الحديث معنا فعرفت أنه من الكويت نظرنا إلى بعضنا وارتسمت علامات الدهشة على محيانا، وجال في ذهني أسئلة انتظرت إجاباتها منه، إذ لم نشاهد أو نتوقع أستاذاً من الكويت يدرسنا، فنحن من اللاتي درسن في أواخر الستينيات

* أكاديمية كويتية.

وأوائل السبعينيات، وهذه المرحلة المبكرة من عمر الجامعة لم يكن قد تهيأ أحد من الكويتيين للتدريس بها.

سرى الهمس بيننا في تساؤل واستغراب صامت نطقت به ملامح وجوهنا أدرك بذكائه ما يجول بخواطرنا فقال:

أنا معيد بقسم اللغة العربية سوف أذهب في العام القادم إلى إنجلترا لدراسة الماجستير والدكتوراه، القسم حالياً بحاجة إلى من يقوم بمهمة تدريس هذه المادة التي سيتولاها أستاذ سوف يصل الكويت في العام الجامعي القادم إن شاء الله.

عرفنا على يديه ما هو "العروض" بفتح العين فجعلنا نترنم معه بموسيقى الشعر في تقطيع أوزان القصائد الشعرية الجميلة، فقد كانت اختياراته من عيون الشعر وفطاحل الشعراء، إذ ركز في اختياراته على نماذج من معلقات الشعر الجاهلي كمعلقة "امرئ القيس"، و"النابغة الذبياني"، و"عنتره بن شداد". ووقف كثيراً في نماذجه عند الشعر العباسي وقصائد "أبي الطيب المتنبي"، و"أبي تمام "، و"أبي فراس الحمداني"، و"البحتر "، و"جرير" و" الفرزدق "، ثم نقلنا لشعر "ابن زيدون" و"ولادة بنت المستكفي"، وطاف بنا في حدائق الشعر الحديث عند البارودي"، و"أحمد شوقي "، و"خليل مطران".

جعل من مادة "العروض" مادة تجمع بين الأدب العربي وموسيقى الشعر بتقطيع أوزان نماذجه الشعرية، كما زاوج في منهجه التدريسي بين الجانبين النظري والتطبيقي.

اعترته بعض المشاكل في تدريسنا:

أولها: إفهامنا أن "العروض" -بفتح العين- وكنا ننطقها له بضم العين ونألف الفتح معه حينا ثم نقلبها له ضماً، ويعيدها إلينا فتحاً إلى أن ألفنا الفتح وفتحها الله علينا.

وثانيها: الجانب التطبيقي عندما كان يطلب من الزميلات تقطيع الأبيات الشعرية التي يختارها على السبورة، فبدا التردد عليهن كثيرا لخجلهن.

وثالث المشاكل: عانيتها أنا عندما طلب مني التوجه إلى السبورة فلم أرد عليه وظللت صامتة في مكاني، استغرب من عدم استجابتي لطلبه وعدم النطق، فتطوعت إحدى زميلاتي لشرح حالتي إليه بالحديث معه عن خجلي الشديد، فلم يصدق، وألح بالامتثال لطلبه، وبعد رجاء الزميلات ذهبت إلى السبورة لأقطع له البيت الشعري، مسكت (الطباشيرة) بيد مرتجفة فوقعت مني على الأرض، وأخذت الثانية مسكتها بقوة فانكسرت في يدي، ظل صامتاً سامحاً لي أن أتنفس الصعداء وأمسح العرق من جبيني، ثم مسكت الثالثة

وظلت ترقص بين أصابعي وأنا أصارعها إلى أن قطعت البيت الشعري للمتنبي الذي يقول:

أمـــا الأحبـــةُ فالبيـــداء دونـــهـم

فليـــت دونك بيـــداً دونهـــا بيـــــد

قطعته ولم أنظر إليه فسألني من أي بحر هذا البيت ؟ فأجبته بصوت خافت: إنه بحر "البسيط"، فقال كنت أعتقد أنك لا تستطعين تقطيع البيت لعدم معرفتك، رفعت رأسي فشاهدته مبتسماً وعدت إلى مكاني.

هذه مرحلة والثانية عندما طلب القسم أن أكون معيدة وأذهب في بعثة دراسية وكان وقتئذ رئيساً لقسم اللغة العربية وطلب مقابلتي ذهبت إليه، وأقنعني بالدراسات العليا والتخصص في النقد والأدب الحديث والمعاصر بمنطقة الخليج والجزيرة العربية، رفضت لرغبتي في دراسة الأدب العباسي فقال: الكثير من الزملاء يدرس حالياً الأدب العباسي وأفهمني أنه ميدان بكر لم يدرسه أو يتخصص به أحد في المنطقة كلها، شاهد ترددي فأردف كلامه ستكونين الوحيدة في القسم بهذا التخصص فلا تترددي، فيعود الفضل له بتخصصي في النقد والأدب بمنطقة الخليج والجزيرة العربية.

زاملته بقسم اللغة العربية، وفي كلية الآداب، وجمعية أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، وفي كل مرة يسألني عن أبحاثي وكتاباتي، واندهشت عندما عرفت أنه يتابع ما أكتبه من مقالات أو مقابلات في الصحافة والتلفزيون، وعندما أبين له اعتزازي بمتابعاته يقول: "أنت ابنتي" وتارة يناديني "بالدكتورة" ومرات عديدة "بالأستاذة" واحترت أيهم الأقرب إليه وإلي.

مضت السنون بيننا وترك العمل بالجامعة وتقاعد، وكانت رغبة كثير من زميلاتي وزملائي بالجامعة، والأصدقاء والأقارب من خارجها بمشاهدة مكتبتي الخاصة، وتبادر إلى ذهني دعوته معهم، ولم أكن على يقين برده لظروفه الصحية، وفرحت بموافقته الفورية دعوته ليكون شرفها ويفتتحها وكان لي ما أردت في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك الماضي، وأبدى إعجابه الشديد بها، وعطلت الجامعة في إجازة سنوية وعدنا بعدها للعمل فيها لنفاجأ بوفاته من دون تمهيد، فأطبق الصمت، وشرد الفكر في آخر لقاء معه ومع الأعزاء الأفاضل من الزملاء والزميلات، وظلت ذكراه في المكتبة والأرفف التي تناول بعض كتبها لمشاهدتها.

رحمة واسعة تحوطه من الله سبحانه، وجنات خلد ستكون مثواه بإذنه تعالى،،

الدكتور عبدالله المهنا وقضية الثقافة

بقلم: د. ياسين الياسين الإبراهيم *

يعرف المتابع بالكويت والعالم العربي، أن هناك أشخاصاً وإن كانوا قلة يهتمون بمواضيع الثقافة بالمجتمع، ويتابعون ويشجعون كل ما له صلة بهذا الموضوع. وقد عرفت عن كثب اهتمام الدكتور عبدالله المهنا بهذه المواضيع المتعلقة بالثقافة لدرجة أنها كانت تدهشني. كنت أعرف مسبقا بأن ثقافة مجتمع أو أمة تعني إحاطة المثقفين بكل الأمور وإدراك مايكتب وماينشر بالمجتمع. وكان المهنا ليس فقط مطلعاً على ما يكتب وينشر بالمجتمع، ولكنه كان له إحساس المثقف الواعي الذي يتصل بالكاتب ويناقش معه الموضوع والأسلوب والكلامات وهذا قلما تجده في كثير من المهتمين أو المثقفين.

* رئيس قسم الإعلام ومستشار مجلس الأمة سابقا.

كيف أنسى الدكتور عبدالله وهو عميد كلية الآداب، عندما كتبت قصة قصيرة "حدث بالصين" نشرت في مجلة العربي عام 1998، وجدت الرجل يتصل بي صباح ذلك اليوم ليناقشني بما كتب في هذه القصة. فكرت منذ تلك اللحظة في أن الثقافة التي يتبعها الدكتور المهنا هي المعنى الحديث للثقافة والتي تخرج عن المعنى الدلالي للثقافة بوصفها مجرد وعي بمجريات الأمور بالمجتمع، ولكن هذا الرجل يطبق المعنى الحديث للثقافة والتي قوامها المدركات، والممارسات، والاتصالات ثم المحاولات بالتكيف مع المستجدات. كان الدكتور عبدالله المهنا يركز بكل ملاحظاته عندما كنت معه على الأفكار الجمالية المختلفة ولكن دائما يربطها بالواقع المعاش. بمعنى كان الدكتور المهنا يرشد طلابه إلى ثقافة مبنية على جمال الكلمات والأسلوب، ولكن تعبر عن لحظة تاريخية يبدأ فيها الإنسان في بناء نظام اجتماعي وثقافي.

الدكتور عبدالله المهنا القارئ الجيد كان ينظر ويعرف الثقافة على أنها وعي وإدراك ثم تكيف، وكان في اعتقادي ومن قربي ومعرفتي به طوال السنين التي عملت معه في كلية الآداب، أنه كان يطبق الثقافة بثلاث آليات:

الآلية الأولى: الميل الشديد للثقافة العربية بشكل خاص والغربية بشكل عام فهو خريج جامعة كميمبرج في بريطانيا عام 1975 ولم ينسَ ذلك طوال حياته. وقد عبر لي عن قراءات وعلاقات مازالت تربطه بالمثقفين والكتاب العرب بشكل موسع وكبير والانجليز بشكل خاص.

الآلية الثانية: الميل الشديد للثقافة العربية خصوصا فيما يخص "وجود الذات" فهو مدافع شرس عن القيم العربية والإسلامية حتى اعتبره البعض أنه منتمي إلى أحزاب دينية، ولكن بأعتقادي كان كان الرجل له ممارسات طقوسية دفاعية لها علاقة بالوجود الثقافي العربي أكثر منها حزبية، فهو مشغول بالثقافة ويعرف عمليات الاتصال الفكري ومشاكل اللغة العربية والدفاع عنها، أكثر من الانتماءات الطبقية والدينية والقومية.

الآلية الثالثة: الميل الشديد للثقافة عند الدكتور المهنا من حيث "التفاعل

الإنساني". من يعرف الدكتور عبدالله يتذكر كم كانت الإنسانية تتمثل بهذا الرجل. فهو رجل مع أنه مثقف ومتمكن،إلا أنه متواضع يتكلم باحترام، ينشد التغيير والتطوير بالثقافة والإدارة واللغة العربية وغيرها، ولكنه يغلف تصوراته بأسلوب رقيق يدخل القلب ولا يجرح الإحساس. كان أستاذا في رأيي ليس فقط بالتخصص في اللغة العربية، بل وكان أستاذا واعيا في أنماط التعبير الثقافي، فكان يفرق بين الثقافة المكتوبة بالكتب وبين الممارسات اليومية للثقافة. أعتقد كان الرجل واعيا بأن الثقافة العربية والمأخوذة عن الغرب سواء كانت مكتوبة أو شفوية تحتاج إلى صبر ومنطق وعقل عند التطبيق وهذا يدل منه على مفهومية خاصة ووعي إنساني كبير.

كما شغل الدكتور عبدالله الكثير من المناصب التي لها علاقة بالثقافة، بل أن المناصب الإدارية الأخرى كان يبتعد عنها، فقد كان بالإضافة إلى المناصب الأكاديمية رئيس قسم اللغة العربية عام 1979 وعميد كلية الآداب 1993-1999 ورئيس تحرير مجلة العلوم الإنسانية بالجامعة 1978-1979. نراه شغل مناصب كذلك لها علاقة بالثقافة مثل رئيس مجلة الحصاد في الآداب وهي تصدر باللغة العربية والانجليزية. كما كان مؤسس مكتبة المخطوطات العربية بجامعة الكويت 1976. وهو رئيس تحرير مجلة عالم الفكر 1992-1993. ومستشار مركز سعود البابطين لحوار الحضارات من عام 2005 حتى وفاته، كما كان عضوا فعالا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مثل ما هو معروف.

انشغال الدكتور عبدالله المهنا، رحمه الله بالثقافة جعله على اتصال ومحاولات جادة في تغطية ميادين الثقافة وتصوراتها النظرية والعملية ولهذا نراه في عام 1976-1977 مع مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب والتربية آنذاك ويخرج لنا كتاب "دراسات بالآداب واللغة" من إعداد الدكتور عبدالله المهنا. ثم في عام 1985 يجتمع مع نخبة من مثقفي الأمة لكتابة ونشر كتاب "نازك الملائكة" دراسات في الشعر والشاعرة، تأليف وإعداد د. عبدالله المهنا ومن طبع شركة الربيعان.

بالإضافة إلى الكثير من المقالات والأبحاث التي قام بها الدكتور عبدالله المهنا، كما أشرف على الكثير من الرسائل والكتب مثل "صورة مدينة القدس في الشعر العربي المعاصر" و"من مظاهر شعرية الخطاب عند غازي القصيبي في مجموعته الشعرية الكاملة" و جماليات الخطاب السياسي في خطب الحجاج بن يوسف الثقافي: دراسة بلاغية نقدية والكثير من الدراسات المهمة، أشرف عليها الدكتور عبدالله المهنا. ولكن يجدر بنا القول بأن عام 2013 أخذ الدكتور المهنا جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عن كتابه أو دراسة النقدية "تجليات أبنية الخطاب الشعري عند أحمد مشاري العدواني" وكان ذلك ختام مسيرة رجل باحث، وإنسان مثقف وأكاديمي معروف لن ينساه أصحابة أبدا.

الدكتور عبد الله مهنا وملامح شخصية

في كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام 1963م التقينا طلابًا قادمين من المرحلة الثانوية، فرحين بالجديد في حياة الجامعة، وكان إقبالنا جميعًا على التعارف واضحًا، ويسَّر هذا أن عدد الطلاب آنذاك كان قليلًا إذا ما قيس بأعداد دار العلوم الآن، وطبيعة كلية دار العلوم أنها تحتضن كل أبنائها من مصر ومن بلاد العرب قاطبة، ولأن عدد زملائنا من العرب كان قليلًا يسَّر هذا معرفتهم والاندماج معهم.

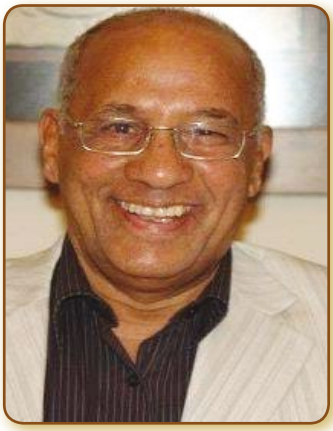

بقلم: د. أبو اليزيد العجمي *

من بين إخواننا العرب كان الطالب عبد الله مهنا ومعه بعض الكويتيين، وكان عبد الله متميزًا بصفات حببته إلى زملائه، وتعلق هو بزملائه المصريين، فقد كان شخصية هادئة، قليل الكلام، حريصًا على الدرس والتحصيل، وبخاصة أنه قد أتيح لنا أن نجلس إلى عدد من العلماء الأفذاذ في كل تخصصات الكلية عبر أربع سنوات قضيناها حتى تخرجنا في 1967هـ.

* أكاديمي مصري.

لقد درَّس لنا الأستاذ الدكتور/ محمود قاسم الفلسفة والمنطق، ودرس لنا الأستاذ الدكتور مصطفى زيد علوم الشريعة، ودرس لنا الدكتور/ تمام حسان النحو وعلوم اللغة، ودرس لنا الأستاذ الدكتور/ محمد حلمي أحمد، والأستاذ الدكتور/ محمد ضياء الريس التاريخ الإسلامي، ودرس لنا الأستاذ الدكتور/ محمود الربيعي والدكتور/ عبد الحكيم حسان علوم النقد والأدب المقارن، وهكذا حظينا بالتعلم من كبار الأساتذة في الكلية.

وهنا أشير إلى زميلي عبد الله مهنا وحرصه على المحاضرات والمكتبة، ولا تكاد تراه إلا وهو حريص على أن يحصل من رحلته إلى مصر كل ما يستطيع.

تلك كانت بداية تعرّفي إلى الزميل عبد الله مهنا، فكانت شعبتنا الدراسية مليئة بالمتنافسين على الوصول إلى القمة، أمثال: محمد حماسة عبد اللطيف، وحامد طاهر، وأحمد درويش، وعبد الرحمن سالم، وعدد غير قليل هم الآن من أساتذة دار العلوم الذي أشرف بأن أكون منهم.

عبد الله مهنا في لندن

تخرجنا في عام 1967م بما لها وما عليها، بقي منا عدد في دار العلوم، وتفرغ الباقون إلى الدراسات العليا.

أما الطالب عبد الله مهنا فقد عاد إلى وطنه لكن أخباره ظلت عند الأصفياء من أصدقائه، وكان خبر أنه ذهب إلى لندن ليدرس الدكتوراه، وهناك كان يكتب لنا عمّا يفعله ويحصّله من معارف جديدة في حقل الدراسات الأدبية. وكأنه كان حريصًا على أن يظل متصلًا بالكلية التي شكلت أسس شخصيته العلمية، وبعد سنوات حصل وحصلنا على الدكتوراه، وحمل الجميع اللقب الذي هو بداية الإنتاج العلمي الذي يؤهل صاحبه للترقي وشغل المناصب العلمية في جامعته، كما حدث للدكتور عبد الله مهنا في كلية الآداب جامعة الكويت.

د. عبد الله مهنا في لجنتين في جامعة الكويت

لم ألتق الدكتور عبد الله مهنا منذ تخرجنا عام 1967م، وشاء الله أن أعمل في جامعة الكويت -كلية الشريعة، قسم

العقيدة والدعوة- وتوليت رئاسة القسم سبع سنوات من عام 2000إلى 2007م، وكانت ظروف التعاون العلمي في الجامعة طريقي إلى التقائي بالدكتور عبدالله مهنا في كلية الآداب واستقبلني الرجل بحفاوة الزميل والمضيف في آن معًا.

ثم شكلت الجامعة لجنتين رفيعتين لاختيار عميد كلية الشريعة واختيار عميد كلية الدراسات العليا، وكان د. عبد الله مهنا رفيقي في هاتين اللجنتين بصحبة بعض نواب رئيس الجامعة.

وطبيعة العمل في هاتين اللجنتين بحكم ضرورة وضع ضوابط للاختيار وآليات ونحو هذا.

وبعد عدة جلسات تناقشنا فيها حول رؤية كل منا لهذا العمل كي يثمر اختيارًا موضوعيًّا يحقق الهدف من هاتين الوظيفتين، وأشهد أني وجدت في د. عبد الله مهنا نموذجًا للباحث الموضوعي النزيه في حكمه وما يقترحه من اقتراحات مسوغة بالفهم والبرهان دون مجاملة.

وأشهد أن نائب رئيس الجامعة الدكتور/ ناجم محمد ناجم قد أثنى على طريقتنا (أنا والدكتور عبد الله) في عرض وترتيب مستندات اختيار كل عميد من العميدين المذكورين، وحين علم د. ناجم أننا زميلان في دار العلوم قال ما يفيد أننا صناعة أصيلة من دار العلوم.

وأشهد أن شيئًا قد حدث في اختيار عميد للدراسات العليا وهو أن أحد المرشحين كانت تنقصه كفاءة ضرورية للوظيفة ووجد من يحاول من اللجنة أن يقلل من أهمية هذه الكفاءة، ويشهد الله أن د. عبد الله وكاتب هذه السطور أعلنا بصراحة غاضبة أننا لن نوقع على محضر الاختيار لو لم تراع الأحقية لصاحب الكفاءة دون غيره. وأخذت اللجنة برأيينا وتم العمل.

نحن ضيوف على د. عبد الله مهنا في بيته

زارنا في كلية الشريعة -فترة وجودي- الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار العلوم. ود. الجليند صديق حميم للدكتور/ عبد الله مهنا. دعانا الدكتور عبد الله مهنا إلى بيته على العشاء، فذهبنا سعداء بهذه

الدعوة، وفي هذه المرة قدم د.عبدالله مهنا ملمحًا من شخصيته؛ حيث كان الأمر كما يلي:

أولًا: العشاء في مكتبته العامرة، فنحن وسط الكتب والمجلات، وكل حديثنا كان عن العلم والمعرفة ورؤيتنا للواقع.

ثانيًا: العشاء كريم لكنه ليس فيه مبالغة إخواننا في الخليج، وهو في هذا رجل واقعي؛ لأن ثواب المضيف بقدر ما يأكل الضيف لا بقدر ما يتكلف صاحب البيت.

ثالثًا: لم يحدثنا د. عبد الله خلال سهرة ماتعة عن إنجازاته واجتهاداته، اللهم إلا ما كان يرد في سياق إجابة على سؤال من الضيفين، ولم يتحدث عن نفسه إلا بالتواضع الغير متكلف.

قلت في نهاية سهرتنا: عبد الله مهنا زميل دار العلوم هو عبد الله مهنا الذي نراه اليوم.

رحم الله عبد الله مهنا بقدر ما أعطى الحياة من علم وخير.

الدكتور عبدالله المهنا.. منارة لم تنطفئ

كثير من الأشخاص الذين نقابلهم في حياتنا المهنية، يكونون بمثابة ذاكرة وفيّة لا تغادرنا على مر السنين. حيث يتركون بصمات في ذاكرة حياتنا. وأذكر منهم في هذا المقام المغفور له بإذن الله الأستاذ الدكتور عبدالله أحمد المهنا، حيث عرفت الدكتور عبدالله المهنا حين كان، يرحمه الله، عميداً لكلية الآداب وكنتُ حينها مديرة مكتبة كلية الآداب.

بقلم: سعاد عبدالله العتيقي *

ولقد أولى الراحل اهتماماً كبيراً للمكتبة، حيث كان يعتبرها ركناً أساسياً، كما لو كانت منهجاً من مناهج الطلبة، وليس فقط مرجعاً يعود إليه الطالب في أبحاثه. أدرك أن تأسيس الطالب يبدأ من المكتبة، فأعطى جلّ اهتمامه لها، لذلك حين قمتُ بتطوير المكتبة والانشغال بها لتكون صرحاً من صروح الجامعة بمساعدة زملائي الذين عملوا معي، كان الراحل يباهي بمكتبة كلية الآداب ويؤازرني في الأفكار الجديدة والدعم الذين جعل هذه المكتبة منارة حقيقية للطلبة والأساتذة بآن معاً. حيث كان يوجه هؤلاء الأساتذة للاهتمام بدور المكتبة ويجعلهم مسؤولين عن مد الجسور بينها وبين الطلبة.

في حياته المهنية، كان المرحوم

* المدير العام لمكتبة البابطين المركزية للشعر العربي.

الدكتور عبدالله المهنا يتميز بعدة صفات جعلته مختلفاً، فقد كان هادئاً يفكر بعمق ويخطط بوعي لمستقبل بعيد وليس فقط لفترة وجوده في عمادة الكلية، فكل الخطوات التي اتخذها كانت تشير إلى آفاق واسعة مقبلة، ولقد كان باحثاً متميزاً قدم للساحة الأكاديمية العديد من الأبحاث المهمة، وفي الوقت نفسه كانت لديه الكثير من الأعباء مثل رئاسته لتحرير مجلة الحصاد فى الأدب واللغة الصادرة عن قسمي اللغة العربية والإنكليزية بجامعة الكويت ورئيس تحرير المجلة العربية للعلوم الإنسانية 1987-1989. ومجلة عالم الفكر 1992-1994. وغيرها الكثير من الأعباء والمناصب العلمية والعضويات كمجمع اللغة العربية.

بعد تلك المرحلة الجامعية، عدتُ للقاء مع المرحوم الدكتور عبدالله المهنا مرة أخرى بعد سنوات، وذلك حين عمل مستشاراً لمركز البابطين لحوار الحضارات. فأتاح ذلك لي العمل مرة أخرى مع الدكتور المهنا الذي تمكن من خلال هذا المركز الذي تأسس عام 2005 في إسبانيا أن نتعاون معاً من جديد. وقد جمعتنا رحلات عمل عديدة لحضور مؤتمرات وندوات في الخارج، ترافقه زوجته الدكتورة حياة الحجي.

فكان الراحل خير ممثل للحضارة العربية بما يتمتع به من فكر متفتح على الآخر، واحترام للفكر البشري بغض النظر عن أي شيء سوى العقل المبني على حب التعايش مع الآخر. خصوصاً وأن الدكتور عبدالله المهنا درس في جامعة كيمبردج البريطانية، الأمر الذي أتاح له الاقتراب أكثر من الفكر الغربي والاطلاع على الاختلاف في الأفكار وتحويل هذا الاختلاف إلى عامل للتطور والاستفادة المتبادلة.

وأصبحت هناك زيارات متبادلة حيث حضر فيها الكثير من الأكاديميين الإسبان إلى مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي واطلعوا عن كثب على حضارتنا العربية المتمثلة بالكتب النادرة والقيمة والمخطوطات وغيرها.

حين تكون الإنجازات أكبر من الكلام، تصبح الكتابة مجرد ملامح عابرة نستذكر بها الأشخاص المميزين ولكن لا نوفيهم حقهم الكامل. لذلك فإن أعمال المغفور له بإذن الله الدكتور عبدالله المهنا هي أفضل من يتحدث عنه.

نسأل الله له الرحمة والمغفرة، وندعو الأجيال في الكويت للاقتداء بهذاالنموذج الناصع كي يستمر العطاء.

أيُّها الفارس الذي ترجَّل... وداعـــاً..

بقلم: د.وهب رومية *

أصَمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا...

وتلفّتُ حولي أبحث لعلّي أعثر على معنى "للحياة" حين انهمر في مسمعي صوتٌ مبلّلٌ بالحزن يقول: لقد رحل الدكتور عبد الله المهنا... كان صوت الصديق الشاعر سعيد شوارب.

واستيقظت في قلبي رغبة غامضة، رغبة لها طعم البكاء ومذاقه اللاذع. وفي غمضة عين لاح على مدّ البصر مشهد الأحباب والأقرباء والأصدقاء الذين رحلوا... رحلوا دون كلمة وداع! كل منهم أغلق الباب وراءه، وخرج، ولم يَعُد!

مــا أطيبَ العيــش لــو أنَّ الفتى حجرٌ

تنبــو المصائــبُ عنــه وهــو ملموم

"كلُّ ألفاظ الوداع مُرّةٌ، والموتُ مُرّ" كما يقول الصديق أحمد عبد المعطي حجازي. فلماذا تمرُّ عربات العمر مُعْجلةً؟

* أكاديمي سوري.

أما كان الصديق "محمد عمران" – رحمه الله – ينطق بألسنتنا جميعاً، ويترجم عن أنفسنا حين قال:

لماذا مركباتُ العمر تأخذنا، ولا ترجع؟!

كأن خيولَها السوداءَ في قلبي

تخبُّ، أرى حوافرها

تُمزّق أضلعي، وكأنني أسمع

صهيلَ جيادها المجنون

يأكلُ فرحة الدربِ!

فياحوذيُّ، يا حوذيُّ، لا تُسرع!

أليس الشعر أكثر فلسفةً من التاريخ؟ أكرم به نسباً عريقاً انعقد بيننا يا عبد الله، فرعيناه معاً، ومثلُك من يرعى الذمم. أما كان أستاذنا "امرؤ القيس" يبكي مصيري ومصيرك ومصير المخلوقات قاطبة حين قال:"قفا نبكِ.."؟ ألم يكن يبحث عن معنى للحياة، وهو يبكي عَرَضيَّة الوجود الإنساني وهشاشته وانكساره وتلاشيه؟ ألم تكن تؤرّقه فكرة "المصير الإنساني" كما أرّقت كل شاعرٍ عظيم؟ وهل كان البكاء على هذا المصير – ولم يزل – مطلباً عزيزاً لا يُستطاع إلّا بالرُّفقة والأعوان؟

أليس غريباً أن يُفتتح ديوان الشعر العربي بالبكاء "قفا نبك"؟

فـإذا النعيـم وكلّ مـا يُلهـى بـه

يومـاً يصيـر إلـى بِلـى ونفـاد

لقد عثر "جلجامش" على معنى "الحياة" وهو يبحث عن الخلود، فأدرك أن الخلود المتاح لبني البشر هو خلود الأعمال لا خلود الأجسام، فقفل راجعاً إلى مدينة "أوروك" يعمّرها ويحصّنها ويسعد زوجته وأولاده ومواطنيه، وهذا هو الخلود، وهذا هو معنى "الحياة" أيضاً.

وأشهد أن عبد الله المهنا قد وعى ما وعاه امرؤ القيس، وأدرك ما أدركه "جلجامش"، فوهب نفسه وحياته للعمل من أجل وطنه ومجتمعه، فكان رئيس تحرير عددٍ من المجلّات الثقافية، وعميداً لكلية الآداب في جامعة الكويت، وعضو مجلس أمناء مؤسسة البابطين للإبداع الشعري، وعضو رابطة الكتاب الكويتيين، ومستشاراً لمركز البابطين لحوار الحضارات، وعضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة. ولكنّه – على الرغم من ذلك كلّه – ظلّ يتمتع بصلابةٍ روحيّةٍ، فلم تَغُرَّه المناصب، ولم تُغوِه المنابر، ولم تغيّره السلطة، ولم يَثنِه

هذا الزهد في زخارف الحياة عن العمل الدؤوب بصمت وحبّ وتواضعٍ يُحسد عليه.

كان عبد الله المهنا من طراز من الرجال تشعر حين تلتقيه أول مرّة بصداقة كانت مُرجأة في ضمير الغيب تنتظر أن يجود بها الزمان: بساطة آسرة، وصوت خفيض، وهدوء أخّاذ، وبعد عن الثرثرة ولغو الكلام والخوض في القيل والقال، وتفكير متأنٍّ رصين، وحب غامرٌ يشعرك بأن صداقته تمتدّ إلى ذلك الزمن البعيد الذي كان مختبئاً في ضمير الغيب. فإذا أنعمت النظر فيه بلحيته التي وَخَطَها الشيب قليلاً، ووجهه الوادع، ونظّارته التي تنبعث من ورائها نظراته الهادئة العميقة خامرك إحساس عميق أن الطفل الذي كان في أعماق هذا الرجل لم يزل كما كان بريئاً نقيّاً لم تلوّثه خبرته الواسعة العميقة بالدنيا وناسها وعصرها. فإذا انعقد بينكما الحديث راعتك منه قدرته على الإصغاء، وسرَّك منه ثقافته الواسعة المتعددة المشارب، وذوقه المرهف، وتقليبه الأمر على وجوهه كأنه وحدَه موكّل به روزاً ومقايسة وحُكماً، فكأنه كان يفكّر في فلسفة الأمر أكثر من تفكيره في

الأمر نفسه. وكان لا يُحبُّ ضوضاء النقد، ولا لَغَطَ السِّجال، ولا ثرثرة المتفيهيقين، بل يراجع ما هو في شأنه مراجعة هادئة تقع على ضفاف الصمت إلا قليلاً.

لقد كان عبد اللّه المهنا رجلاً نبيلاً وهبه اللّه القدرة على حب الناس، والقدرة على العمل، والنظرة العميقة، فهو يحدس كمن رأى ومن سمع، فأعطى كل ما يستطيع لمجتمع ناهضٍ ينفض عنه غبار الجهل والتخلّف، ويتأهب للانطلاق في بناء حياة مجتمعيّة عصريّة متجدّدة، فكان أحد أعلامه المستنيرين الكبار.

ولقد أعلم - كما يعلم غيري - أن من حق عبد اللّه المهنا، ومن حق أمثاله من المثقفين والشعراء والنقاد والمصلحين الكويتيين، أن أتحدث عن ثقافته وأبحاثه ومؤلّفاته، ولكن الموقف الذي أنا فيه لا يسمح بالبحث والاستقصاء والاستفاضة في الحديث، فتلك أمور تعزّ على المستعجل، وتعاسِرُ من ضاق وقته عليه، فأرغمته المناسبة على اجتزاء القول وطبّه.

أيُّها الفارس الذي ترجَّل...

وداعاً..

عبدالله المهنا.... وقراءة الشعر

شهدت حركة النقد الأدبي في الكويت منذ سبعينيات القرن الماضي نشاطا ملحوظا تمثل معظمه في الدراسات العليا، حيث كان الباحثون يعدون رسائلهم في الماجستير والدكتوراه، وكان الشعر العربي عموما والشعر الكويتي على وجه الخصوص مقصد هؤلاء الباحثين مما أفرز دراسات متميزة في المجالين المذكورين...

بقلم: سالم خداده *

وقد واصل بعض هؤلاء الباحثين نشاطه النقدي بعد مرحلة الدكتوراه فحظيت الساحة النقدية بقراءات معمقة وبخاصة في الشعر الكويتي، وهنا يبرز اسم عبدالله المهنا دون ريب بوصفه أحد كبار النقاد في هذه الساحة، نظرا لمنهجه اللافت في القراءة النقدية للنصوص الشعرية على نحو مختلف عن النقاد الآخرين ممن جايله أو جاء بعده...

إن هذا الناقد المتميز وجه جهده في بداية قراءاته -ما بعد الدكتوراه- إلى الشعر العربي القديم بدافع من من مجال تخصصه في الدراسات العليا والتي كانت في جامعة كمبردج، حيث قام بتعريب عدد من النصوص مع

* أكاديمي كويتي.

التعليق عليها في الفترة 1977 – 1981، وكلها تتصل بالشعر العربي القديم وهي على النحو الآتي:

- الشعر العربي القديم مصدرا للمعرفة التاريخية...
- علاقة الشعر العربي القديم بالأدب العبري في العهد القديم...
- استخدام الكتابة في حفظ الشعر العربي القديم...
- مظاهر الوصف في الشعر العربي القديم...
- تحليل حديث للشعر العربي القديم...
- الشعر الجاهلي...
- أصول الشعر العربي...

كما كتب قبل ذلك (1967) مقالا عن جميل بن معمر، إضافة إلى دراسة بعنوان: ملاحظات على المراثي العربية 1982... وأخرى عن إبراهيم المعمار شاعر العامة في عصر المماليك 1997...

إن هذه الترجمات وغيرها تؤكد ما أشرنا إليه من أنه كان في البداية موجها جل اهتمامه إلى الشعر العربي القديم وهو ما بدأ يغادره –منذ منتصف الثمانينيات تقريبا– إلى الشعر العربي المعاصر حيث قدم هذه الدراسات:

- صالح جودت وقضية الحب...
- تجربة الاغتراب عند نازك الملائكة...
- الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة...
- الشاعر والموت (قراءة في مطولة الهمشري– شاطىء الأعراف)...
- جدلية السلطة والقهر السياسي – قراءة نقدية في شعر عبده بدوي...
- الخطاب النقدي عند قاسم حداد وصلته بتجربته الشعرية– رؤية نقدية...

وله دراسة حديثة لم تنشر بعد عن (شعر المرأة في الخليج...) كانت معدة لإحدى دورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري...

ولعله رأى بعد تلك القراءات في القديم والمعاصر أن الشعر في وطنه الكويت بحاجة إلى نظراته النقدية

العميقة فأبلى في هذا الميدان بلاء حسنا حين قدم مثل هذه الدراسات:

- محنة الكويت في الشعر المعاصر (الرؤى والأدوات)...
- بنية المضمون في شعر العدواني...
- تمرد امرأة خليجية- قراءة نقدية في شعر سعاد الصباح...
- الصورة الشعرية وآلياتها التعبيرية عند فهد العسكر...
- مظاهر الاغتراب في الخطاب الشعري عند صقر الشبيب...
- الشعر الكويتي الحديث في المنظور النقدي عند إبراهيم عبدالرحمن...
- أنماط وصور من البنية الشعرية عند العدواني...

إضافة إلى بعض المقالات النقدية في مجلة البيان...

وقد ألمحنا من قبل أن عبدالله المهنا بدأ يسلك طريقا جديدة في قراءة النصوص الشعرية في السنوات الأخيرة مما وسم قراءته بطابع خاص يتميز به من الآخرين.. وربما يقول قائل إن هذا هو المنهج التكاملي الذي تحدث عنه النقاد في النقد العربي الحديث، وكان سيد قطب سباقا إليه في كتابه " النقد الأدبي أصوله ومناهجه " ثم أعاد النقاد في السنوات الأخيرة الاعتبار إليه بعد أن ضاع النقد والنقاد في دروب الحداثة النقدية الغنية بمصطلحاتها والبراقة بشعاراتها لكنها كانت فقيرة في المحصلة... ويبدو أن المهنا الذي كان قريبا من روح هذا المنهج أدرك مشكلات المناهج النقدية الحداثية جيدا، ولذا نجده يصرح بذلك في مقدمة إحدى دراساته فهو بعد أن ذكر "ياكبسون" و"بارت" و"لوتمان " و"ريفاتير" وغيرهم ممن بذلوا جهودا كبيرة لضبط (الشعرية) من خلال ربطها باللسانيات، رأى ناقدنا أن الدراسات التي سارت في الاتجاه المذكور لم ينقطع الجدل حول فاعليتها في الكشف عن قيمة الأثر الأدبي، إذ تداخلت مع الشعرية مصطلحات أخرى "على نحو اتسع فيه الجدال حول الأثر الأدبي في سياق تقاربات هذه النظريات والمصطلحات التي تتداخل فيما بينها مرة، وتتقاطع مرات، حتى أصبح العمل الإبداعي نهبا لتجاربها التحليلية، ليس لبيان قيمته الجمالية التي أصبح الحديث

عنها شيئا من الماضي، بل لتجريب نظريات ومناهج جديدة تعمد إلى التحليل العلمي المنضبط للأثر الفني واختراق قوانينه اللغوية التي تنتظم هيكله، بصورة تضمن هيمنة الوظيفة الشعرية على الوظيفة المعرفية، بحيث تتراجع هذه الأخيرة إلى درجة الصفر، في حين تتعالى فيه الأولى إلى درجة المركز، وبقدر ما يعالج الخطاب الأدبي ذاته لسانيا، تتكمش الرؤى والأفكار في مقابل ذلك بصورة تلقائية. "[1]...

هذا هو موقف المهنا من هذه المناهج، فهل كشف عن منهجه هو في قراءة النص بعد هذا الموقف الواضح المبين ؟ هل استبعد كل ما يتعلق بهذه المناهج من مفاهيم وآليات عند تحليل النص؟... الواقع أن المهنا كان موضوعيا في موقفه وهو يبين ذلك على نحو لا لبس فيه، فهو ينتقي من أفكارها وآلياتها ما يتفق مع منهجه في القراءة، وهو منهج يقوم على تحليل اللغة الشعرية " بحيث تصبح الأشياء المعبر عنها لغويا في الخطاب هي لب العمل وجوهره الحقيقي وليس الأشياء ذاتها..." [2]

ومن ثم ووفقا لما يذكره المهنا " فإن تميز العمل الأدبي لا يظهر إلا من خلال بنيته اللغوية التي تشبه الشيفرة الخاصة التي تكشف عن دخيلة الشاعر في اختيار هذا النمط من التعبير دون غيره، وهذا لا يعني البتة أن الإبداع الأدبي شكل من أشكال اللغة فحسب، بل هو قبل كل شيء إبداع فني منتظم في شكل من أشكال اللغة، ولاتعرف حقيقة هذا الإبداع الفني وأسراره التعبيرية إلا من خلال تفكيك أبنيته اللغوية..." [3]

وهكذا مضى هذا الناقد المتميز يفكك أبنية النصوص الشعرية وفق هذه الرؤية المتزنة ناظرا في المستويات المختلفة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية وحسب ما تتطلبه طبيعة النص موضع الدراسة وعلى نحو معجب أشاد به عدد من النقاد ممن قرؤوا له بعض دراساته النقدية... ولقد شهدتُ جانبا من هذه الإشادة بمنهجه في المؤتمر الذي عقدته مؤسسة البابطين في أبوظبي تحت عنوان (الشعر والتنوير، دورة أحمد العدواني) حيث أثنى عليه كل من جابر عصفور ونعيم اليافي وآخرون... فمما قاله اليافي: "...

أحمد لهذه الندوة ولأبحاث الندوة أنها بدأت من بحث جاد، بحث متميز لدارس متميز ليس على مستوى هذه الندوة، وإنما على مستوى حركة النقد في الأدب الكويتي المعاصر،ففي رأيي أن د.عبدالله المهنا ينعطف بالنقد كما لاحظ د.محيي الدين صبحي، ينعطف بحركة النقد انعطافة حادة تعتمد على النص ذاته،و تعتمد على تحليله وتفكيكه، وعلى داخله لتسبره وفق معطيات المنهج اللغوي...الدكتور عبدالله المهنا في هذا البحث وفي غيره يمتلك أدواته المعرفية، مفهوما ومصطلحا، ورؤية، ومنهجا، ومهما اختلفنا عن هذه الرؤية أو تلك، أو هذا المنهج أو ذاك، فإنه يحدد منذ البداية ما يريد ويسعى إلى هذا الذي يريد..." (4)

وأقول بعد هذا: من يقرأ سيرة عبدالله المهنا الذاتية الغنية بعطاءاته والثرية بإسهاماته يدرك كم كانت حياة هذا الرجل حافلة على مستوى العمل الإداري والأكاديمي... أما الجانب الإنساني فإنه كان إنسانا رائعا بكل ما تحمله كلمة (رائع) من معنى، فقد

كان عالما من اللطف والمودة والرقة والتواضع، وكونا مفعما بالإنسانية في أصفى تجلياتها... كنت في السنوات الأخيرة لا أنقطع عن زيارته مع الأخ الشاعر الدكتور السعيد شوارب، وكانت هذه الزيارات غنية وجميلة بحضوره الغني والجميل، وكان الحوار معه كنزا من المعرفة والثقافة والأدب...

رحمك الله يا أبا محمد وغمرك بعفوه ورحمته وتقبلك في الصالحين وأسكنك الفردوس الأعلى...

الهوامش:

(1) د.عبدالله المهنا: تجليات أبنية الخطاب الشعري عند أحمد العدواني. مؤسسة البابطين، الكويت 2013، ص 140 .

(2) السابق: 141 .

(3) السابق:141 .

(4) انظر: أبحاث دورة العدواني. مؤسسة البابطين، الكويت 1998، ص 196 . وانظر ما ورد في تعليق د. مختار أبو غالي على دراسة المهنا (محنة الكويت في الشعر المعاصر...) وذلك في مجلة العربي عدد يونيو 1995.

لا أقول وداعا أخي الحبيب دكتور عبدالله المهنا

نعم لا أقول وداعا فإن شخصك حاضر لا يغيب نبلا في الخلق، وعلوا في الهمة، ورفعة في الشأن وتأثيرا في كل من عرفك.

لم أستوعب الخبر الذي هاتفني به صديقي الدكتور سعيد شوارب وسألني: هل تعلم شيئا عن صديقنا العزيز الدكتور عبدالله المهنا؟ فقلت له لا، وبادرته هل هو في القاهرة الآن؟ فالتزم الصمت وسألته عن ظروفه الصحية فالتزم الصمت.

بقلم: د. محمد الجليند *

وبعد فترة صمت تكلم بصوت خافت عبد الله المهنا انتقل إلى رحمة الله، ولم أستوعب الموقف لصعوبته، وفي اليوم التالي اتصل بي ابني الدكتور سامي الجليند من الكويت وهو يعمل استشاري جراحة العظام بمستشفى الرازي بالكويت وسألني هل وصلك أي معلومات عن الدكتور عبد الله المهنا؟ فقلت لا.

هل لديك معلومات عن الدكتور؟ فقال: إن حديثا جرى مع الدكتور علي المكيمي مدير المستشفى وأخبرني أنه

* أكاديمي مصري.

كان بالأمس في عزاء صديق عزيز لديه وهو الدكتور عبدالله المهنا وكان متأثرا جدا بوفاته، فعدت إلى نفسي مسترجعا. «إنا لله وإنا إليه راجعون». لا أقول في رحيلك يا أخي الحبيب إلا ما يرضي ربنا، اللهم أبدله دارا خيراً من داره وأهلا خير من أهله، اللهم انزله منزلة النبيين والصديقين والشهداء الصالحين.

لقد كان لهذا الخبر وقع في نفوسنا شديد الأثر استدعى تاريخا طويلا من الذكريات والمواقف يمتد إلى نصف قرن من الزمان حيث كان لقاؤنا الأول أمام شيخنا المرحوم الدكتور محمد عيد وطلب من الحاضرين إعراب بيت من الشعر.

وسأل الحاضرين - لماذا قال الشاعر (أخاك أخاك) ولم يقل أخوك وكان موضوع المحاضرة (التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي) وكان بيننا شاب وسيم تعلوه ابتسامة، على استيحاء رفع أصبعه طالبا من الدكتور أن يتولى الإجابة، فعرف من لهجته أنه من الكويت وسأله من أي البلاد فقال من دولة الكويت، فأعجب الدكتور محمد عيد أيما إعجاب، وكان هذا الموقف بداية تاريخ طويل بين هذا الشاب الوسيم (عبدالله المهنا) وجميع زملائه بالشعبة التي كانت تضم نبهاء هذه الدفعة وهم علماء مصر المعاصرين.

كان عبدالله المهنا يسكن على ضفاف نيل مصر، شارع عبد العزيز آل سعود وبمنيل الروضة مع بعض زملائه من دولة الكويت وكان بيتنا على مقربة منه في مصر القديمة وكان قرب المسافة بيننا وسيلة لتبادل الزيارات نحن في سنوات الدراسة نتبادل المعلومات والمذاكرة وقضاء أفضل الأوقات على ضفاف النيل.

إن شريط الذكريات أمامي الآن يمر علي وكأني أعيش اللحظة الراهنة حيث إقامتنا معا ايام الامتحانات نعيشها اللحظة بلحظة وكأنه أمامي الآن يفتح كتاب النظريات السياسية للدكتور ضياء الدين البرنس وكنا نحبه كثيرا لأنه كان يعيش معنا همومنا المعاصرة.

اتفقنا معا على أن نذهب لزيارة الدكتورة بنت الشاطئ في منزلها بمصر الجديدة ميدان الإسماعيلية وكانت الصحف قد أثارت معركة بينهما وبين

الدكتور مصطفى محمود حول تفسير القرآن، انبرت الدكتورة بنت الشاطئ لمواجهة الدكتور مصطفى محمود بالرد عليه وذهبنا إليها وجلسنا عندها ساعتين أو أكثر نسمع منها ونسأل وترد علينا ويستطرد المرحوم عبدالله في الأسئلة ويحرص على إعادة الإجابة وكان يقوم بتسجيلها كتابة ولما انتهت الجلسة قالت المرحومة بنت الشاطئ، يا ابني من أي البلاد العربية أنت، أنا لم أسمع مثل هذه الأسئلة من شاب في مثل سنك فتح الله عليك.

نعم لا أقول وداعا يا أخي الحبيب فمازالت ذكرياتك حية وستظل. أمامي الآن شريط ذكرياتك يوم أن اصطحبنا المرحوم محمود الطناحي إلى مجلس الشيخ محمود شاكر، وكانت المعركة شديدة بينه وبين العلمانيين حول رسالته (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) التي هاجم فيها العلمانيين بأسلوب علمي راق وجلسنا معه، رحمه الله، نتساءل ونستمع منه الى جذور المعركة بينه وبين لويس عوض الذي يومها كان رئيس تحرير إحدى الصحف الكبرى في مصر.

وكانت هذه المعركة مثار اهتمام المثقفين في مصر والوطن العربي: فكانت أسئلة عبد الله المهنا مثار اهتمام محمود شاكر لما فيها من فهم عميق للواقع الثقافي الذي تعيش المنطقة فيه، وكانت بداية طيبة لعلاقة قوية بين المرحوم عبد الله المهنا وبين الشيخ شاكر ومحمود الطناحي، لأنه، رحمه الله، كان مهتماً بالمخطوطات العربية خاصة ما يتصل فيها بموضوع رسالته للدكتوراه.

نعم لا أقول وداعاً يا أخي الحبيب، فإن شريط الذكريات يمر أمامي الآن وكأني أعيش اللحظة، يوم أن أبدى رغبته في زيارة الريف المصري ليتعرف على عادات أهل الريف، ذهبنا إلي قريتنا بمنشية الأمراء مركز المحلة الكبرى وقضينا بها أكثر الأوقات متعة نتجول بين الحقول، يقطف ثمرة من هنا وثمرة من هناك، ويستدعي من الذاكرة الشعر والأمثال المناسبة للموقف والمقام حتى إن الحاضرين معنا من أهل القرية كانوا يتسابقون في تقديم الواجب له تكريماً وإحتفالاً بقدومه وحضوره بينهم.

ويسافر الدكتور عبد الله في بعثة إلى أمريكا للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب العربي، ولا تنقطع الصلة ولا يحول دونها بعد المكان ولا تباعد الأجسام ولا كثرة المشاغل وتحمل المكاتبات حاملة معها شكوى الاغتراب أحياناً وهموم التحصيل للعلم أحياناً حتى أدق التفاصيل الشخصية كانت مثار المراسلة وكثرة الكتابة.

وفي يوم السادس من أكتوبر 1973م يحضر إلى القاهرة العروسان الشابان عبد الله المهنا والسيدة الفاضلة حياة لقضاء وقتاً طيباً بالقاهرة ويزورني العروسان في بيتي ونتفق على قضاء يوم كامل في حديقة الحيوان بالقاهرة احتفالاً بالعروسين، وتجتمع العائلتان ونذهب معاً إلى الحديقة وكنا في شهر رمضان، وحان وقت صلاة الظهر وأخذنا نبحث عن مكان يقول: هنا القاهرة، البيان العسكري رقم 1.

عبرت قواتنا المسلحة قناة السويس واجتازت خط بارليف وأعلنت القاهرة غلق مطار القاهرة إلى أجل غير مسمى.

وكان العروسان على نية السفر في اليوم التالي.... وفكرنا معاً ما هو الحل. وماذا نفعل. وأخيراً أصرا على ضرورة السفر فلم يجدا، إلا السفر إلي ليبيا براً مهما كانت المشقة ومنها السفر جواً إلى قبرص ثم إلي الكويت.. ولا ينتهي شريط الزكريات.

إن شخصية المرحوم عبد الله المهنا نموذج فريد من أبناء جيله. يتمتع بهيبة المعلم وتواضع العلماء، ونبل الخلق وطهارة النفس وصدق الطوية وإخلاص النية، إن جميع زملائه من دفعة 1967 يعزي بعضهم بعضاً في رحيله لأنه قامة علمية وقيمة إنسانية.

عزائي لدولة الكويت في رحيل عالم من كبار علمائها.

عزائي لجامعة الكويت في علم كبير من أعلام أبنائها.

عزائي للسيدة الفاضلة الدكتورة حياة رفيقة الدراسة وشريكة الحياة.

عزاء لكل أفراد الأسرة الكريمة خاصة الابن العزيز الأستاذ أحمد.

ولا نقول في رحيلك يا أخي الحبيب إلا ما يرضي ربنا «إنا لله وإنا إليه راجعون».

الأب الروحي

إن مفردة الفراق (الرحيل)، إلي العالم الآخر تشعرنا بالرهبة، الحزن والخوف، وفي بعض الأحيان بشعور آخر ألا وهو شعور عدم التصديق لوهلة، خصوصا عندما تكون الشخصية التي فقدت عزيزة علينا، لكن نعود مرة أخرى إلى وعينا الذي فقدناه بعض الشيء، ونردد إن الموت حق، هذا ما حدث بالفعل عندما تلقيت خبر وفاة الأستاذ الدكتور عبدالله المهنا، عالم جليل، أب حنون، ذو أخلاق دمثة هادئ الطباع، وله ابتسامة هادئة تميزه، تشرق محياه. وبرحيله فقدت الأوساط الأدبية والثقافية في الكويت أكاديميا وعالما قلما يجود الزمان بمثله.

بقلم: د. لطيفة جاسم التمار *

عهدته أبا وأستاذا ومربيا فاضلا، أستاذي الذي استحق معنى هذه المكانة العلمية والأدبية والخلقية، كلما رأيته أحسست بالهدوء والسكينة، وبالعلم الوفير والذي تحسبه لن ينضب علي مدار الزمن، ذو حصيلة ثقافية اكتسبها من خلال سنوات الخبرة، وعمق تفكيره وحذقه. كما إنه يلهمك بأنك تستطيع أن تفعل أكثر مما تريد.

أستاذ وعالم في اللغة والأدب، عاشق

* أكاديمية كويتية.

للبلاغة والأدب القديم، محب ومتذوق للأدب الحديث، لن أنسى بأنه أصبح الأب الروحي لتلامذته، يساعدهم، يحنو عليهم ويشجعهم.

وللدكتور مكانة علمية وأكاديمية ساعدت في تطور كلية الآداب عندما شغل منصب عميد الكلية، وكذلك عندما كان رئيسا لقسم اللغة العربية، أعطى لعمله الجهد والوقت، والإخلاص الشيء الكثير، وتلامذته يشهدون على ذلك، فهو أحد مؤسسي النقد الأدبي في الكويت، أنجز كثيراً من الدراسات والبحوث الأدبية التي أثرت الأدب القديم والمعاصر.

تمتاز شخصيته بالرقة والأبوة، والحنو على كل من يزوره في مكتبه بقسم اللغة العربية، طالبا مساعدة أو نصيحة، كما قلت سابقا أب حنون بكل معاني الأبوة، تتلمذ على يده مئات الطلبة في جامعة الكويت، فهو منارة للعلم والأخلاق والأدب، قلما تجتمع هذه الصفات في شخصية واحدة، إلا أنها وجدت عند هذا الإنسان والمربي الفاضل الدكتور عبدالله المهنا، منتهى التواضع والأخلاق والقدوة لدى كل من عرفه وتتلمذ على يده، له الفضل في مساعدة الكثيرين، إن كانوا طلبة أو أناساً عاديين، عطاؤه في علمه لم ينضب، كذلك عطاءاته بين زملائه كانت مستمرة حتى اللحظات الأخيرة التي قضاها بقسم اللغة العربية بجامعة الكويت.

تدرج الدكتور السلم الأكاديمي حتى وصل إلى درجة أستاذ، من خلال بحثه العلمي المميز، كما إنه كان عضوا في العديد من الهيئات العلمية منها على سبيل المثال:

- عضو مجلس إدارة المعهد العالي للفنون المسرحية.
- عضو لجنة قانون التعليم ١٩٨٧
- عضو مجلس أمناء المركز العربي للوثائق والمخطوطات.
- عضو لجنة الإبداع في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- مستشار مركز عبدالعزيز سعود البابطين لحوار الحضارات منذ عام ٢٠٠٥.
- كما انتخبه مجمع اللغة العربية في القاهرة بالإجماع، ليكون عضوا

ومراسلا للمجمع. ويعتبر هذا الانتخاب تتويجا لمسيرة عطاءاته العديدة في مجال اللغة والأدب.

هذه كلمات في رثاء أستاذي ومعلمي، أ.د. عبدالله المهنا، (وجه القمر).

غاب عنا وجه القمر

غاب عنا في سماوات بعيدة

غبت ولم تمهلنا الوداع

فغيابك غياب الأب

الذي ترك وراءه أطفاله

يبحثون عنه يتساءلون

متى تعود!

هل ستعود؟

تدمع العيون

يأتينا صوت من بعيد

أين أبي وعيناه

آلا يعود!

سقى الله ثراه

فما بعد الرحيل من رجوع

تداركنا حقيقة الفراق

الذي يذهب لا يعود

لكنك في جوانحنا باق

لن تغيب

فلا نملك إلا أن نستودعك الثرى

فهذا قضاء ونصيب

نرثي اليوم الشخصية الكويتية، التي أثرت المكتبة الأدبية بإصداراتها وبحوثها، نستذكر عطاءاتها فنتألم لفقدها، تتعثر حروفنا ونحزن لفراقها لكنها سنة الحياة. لن ننسى يوم من الأيام أننا عرفناه تعلمنا على يده ونهلنا من خبراته الكثير، فعطاؤه ومساعدته كانت اللبنة الأولى في مستقبلنا، كما كانت الأثر الأكبر في نفوس كل من ساعدهم، لن نستطيع وصفه سوى بالأب الروحي. نعزي عائلته الكريمة بوفاته، كما نعزي أنفسنا وكل من عرفه وأحبه.

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم

هَوًى ما استطعْنَاه..
د. عبد الله المهنا.. وداعًا

بقلم: د. سعيد شوارب *

كثيرون هم الذين يرحلون عن دنيانا، فيسبقونا إلى الجوار الكريم، ففي "كل يوم لنا مَيْتٌ نُشيِّعُهُ.." كما يقول الشاعر، غير أن الحياة لا تلبث أن تعودَ بعد الوداع إلى رتابة إيقاعها، بسرعة تقل هناك أو تزيد هنا، وفق طرائق الناس في تلقي مصيبة الموت، ذلك مألوف الناس وهذا مألوف الموت، منذ كانت الحياة والناس، غير أن بعض الموتى لا يرحلون كهذا المألوف، إنهم يرحلون فينا، دون أن يرحلوا عنا.. وهم برغم أنهم فينا يُحدِثون فراغًا فظيعًا ينتشر حولك واسعًا، ويسرِى فيكَ عميقًا، ويبقى فيك طويلًا، حتى لتجدُ نفسَك في عرَاءٍ مُوحِش، يلفُّك فيه صفيرُ الصمت، ويرُجُّك فيه زفيف الريح، وتهدُّك فيه مشاعر الغربة.. فأنت تجدُك فجأةً وكأنَّ زجاجًا برُوحك قد انكسر، أو كأن الدنيا من حولك قد خلت كلها، إلا من هذا الشعور النازف في بَرِّيَّةِ الصَّمتِ الصَّارخ.

ذلك هو بعض ما انتابني فجْأةً لحظة تلقيت في القاهرة خبرَ موْتِ الدكتور عبد اللّه المهنا يرحمه اللّه، من صديقنا المشترك والحميم، الدكتور سالم عباس خدادة الأستاذ بكلية التربية الأساسية.

* أكاديمي مصري.

عرفت عبد الله المهنا أول أمرنا، ذات محاضرة بالفرقة الأولى من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، في ديسمبرعام 1963.

شابٌّ حَيِيٌّ طلْق الوجْه، يأخذ النظر بوسامة ملامحه، ويقظة صمته ونفاسة ملابسه، يجلس بجانبي قدَرًا، في الصف الأول في مواجهة المنصة.. يبدو مندهشًا من الإيقاع الثوري لإلقاء المحاضرة عند أستاذ التاريخ الإسلامى الشهير، الدكتور محمد ضياء الدين الريِّس يرحمه الله.. تهامسنا لحظتئذ بأن في ثوب هذا الأستاذ رُوحَ زعيم، انتبهتُ لأول جملة همس بها جارى أنه غير مصري.. لم أكن في حينها أميز الفروق بين لهجات دول الخليج.. دردشة تعريفية خاطفة بعد المحاضرة عقدت حبلا من المودة غير مرئي، لكنها بدت حين أتيح لها بالبوْح أن تُرى، أكبرَ من الزمن الذي ولدت فيه، ثم رأيته آخرَ مرة بمنزله في " مشرف" بالكويت بصحبة الدكتور سالم.. فبدت علاقة المودة بيننا أعمق كثيرًا من الزمن الممتد بين بدايتها في ديسمبر1963، ونهايتها في مايو 2018.

في كلية دار العلوم جامعة القاهرة

كان لدار العلوم التي التحقنا بها مع عبدالله المهنا، بريقٌ يأخذ النظر، وجلالٌ يأخذ القلب، جعلَنا ونحن عدد كبير من أوائل الثانوية الأزهرية في مصرَ كلها،جميعهم قد أتم حفظ القرآن الكريم طفلًا قبل أن يلتحق بالأزهر..كلهم على غير اتفاقٍ بينهم، يختار ترك الأزهر الشريف والتحول إلى دار العلوم بجامعة القاهرة.. حبب دار العلوم إلى قلبي الصغير، فتًى من قريتنا" كفر سليمان"، أدهش الناس بكلمة ألقاها ببراعة استثنائية.. قالوا :إن اسمه "رأفت الزهداني" من دار العلوم، فصارت دارالعلوم عندي رمزًا للتفوق.. لم نكد نُمضي شهورا من سنتنا الأولى، حتى بدأت الخريطة تتكشف عن صحة رأينا في دار العلوم، فهي مكان واحد يجمع أعلاما كثيرة العدد، كبيرة القدر، تعْمُرُ أقسام الكلية جميعها، من مثل الدكتور محمود قاسم أستاذ الفلسفة والمنطق، والدكتور يحيى هويدي أستاذ الفلسفة الإسلامية أيضا، والدكتور تمام حسان أستاذ النحو واللغة، وعلي النجدي، وعبد السلام هارون، والشاعر علي الجندي،

د. المهنا الرابع من اليمين وقوفاً

وعلى جانبي الصورة وقوفاً د. محمد حماسة عبداللطيف يساراً، ود. سعيد شوارب يميناً

والدكتور محمد ضياء الدين الريس، والدكتور مصطفى زيد والدكتور محمد غنيمي هلال، والدكتور محمد كمال بشر، والدكتور محمود الربيعي، وغيرهم كثير، بل إن دار العلوم أيام عبد الله المهنا، كانت عامرة بشباب المعيدين الذين غدوْا عماد دار العلوم فيما بعد، فقد كان من بين هؤلاء المعيدين الدكتور حسن عبد اللطيف الشافعي رئيس مجمع اللغة العربية الآن، والدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح عالم اللسانيات الشهير، والدكتور محمد بلتاجي حسن، عميد الكلية الأسبق، وغيرهم وغيرهم، وحسبنا أن نشير هنا اختصارًا، إلى أن القامة العلمية والأدبية الكبيرة لعبد الله المهنا، كانت نباتًا حسنا وطبيعيا، لبيئة علمية وأدبية صحيحة، نهضت على ركيزتي اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وكلاهما منفتح بحرية على أصالة التراث العربي والإسلامي، ثم على الثقافة المعاصرة في آن معًا.

أضف إلى هذا، أن الحركة الأدبية داخل دار العلوم كانت تموج بالنشاط المعجب من الندوات والمهرجانات في

الشعر والقصة والخطابة، يشرف عليها الأساتذة والنقاد وشباب المعيدين ولا عجب أن تجذب كبار النقاد والشعراء، للمشاركة والمباركة لهؤلاء الشباب الذين لفتوا أنظار الصحف والمجلات والنقاد والإذاعة بإبداعاتهم الجديدة، وعلى سبيل الاختصار، فقد كان من نجوم هذه الندوات والمهرجانات محمد حماسة وسعد مصلوح ومحمد فتوح وأحمد درويش وسعيد شوارب وحامد طاهر وحسن البنداري ورفعت الفرنواني وغيرهم الكثير، وكان من نجوم المشرفين النقاد على تلك النشاطات، الدكتور عبد الحكيم بلبع وعلي عشري زايد ومحمد فتوح وغيرهم، ولذلك فقد استقطبت إلى دار العلوم كبار الشعراء والنقاد لحضور المهرجانات التي تعقدها دار العلوم، من أمثال محمد مندور وملك عبد العزيز وأنورالمعداوي وطاهر أبو فاشا ومحمد العزب ومحمد التهامي وفاروق شوشة ومحمد مفتاح الفيتوري.

تلك هي بعض ملامح البيئة العلمية والأدبية التي تنفس عبد الله المهنا أجواءها وعشق ملامحها وأحب مكتبتها وترابها وطلابها وصعوباتها أيضًا.

لقد قدمت دفعة عبد الله المهنا 1967الشهيرة، لدار العلوم وجامعة القاهرة والجامعات المصرية والعربية،عددا كبيرا جدا من النابهين، يزيد عددهم في دار العلوم الأم وحدها على الثلاثين أستاذا في مختلف التخصصات، يجيء في طليعتهم على سبيل التمثيل، الدكتور محمد حماسة عبداللطيف الوكيل السابق لمجمع اللغة العربية، والدكتور حامد طاهر نائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق، والناقد الكبير الدكتور أحمد إبراهيم درويش، والدكتور أبو اليزيد العجمى، والدكتور محمد السيد الجليند،والدكتور عبدالرحمن سالم والدكتور محمد شريف وغيرهم من الأعلام كثيرون.

لقد ظل عبد الله المهنا رحمه الله، يستعيدني أبياتا يحبها كثيرا، قلتهاعن دار العلوم، ذات قصيدة، في لحظات شوق محترقٍ إلى عهود دار العلوم التي نحب، كان منها:

أنــتَ مــن دوحــةٍ لــوَ أنَّ ثراهــا
مَسَّــهُ النَّجْــمُ مــرَّةً، لاطمأنَّــا
نشــربُ الْحُــبَّ دفْقــةً مــن حنــانٍ
فــي هواهــا ونجعــلُ الشــعْرَ دَنَّــا
لــم يــزلْ عهدُنَــا إليهــا حنينًــا
كلمــا عَــاوَدَ الفُــؤادَ، أرَنَّــا

لــو رجعنــا إلــى الحبيبــةِ شــرحًا
ورجعنــا إلــى "الْمُنيــرَةِ" مَتْنَــا
ورجعنــا إلــى هوًى مــا اســتطعناهُ،
تولَّــى مِــن بَعْــدُ حيــنَ اســتطعْنَا

فهل يكون عجبًا للناس إذن، أن يتقدم عبد الله المهنا قافلة الرواد في جامعة الكويت، وأن يعود بعد الدكتوراه من "كمبرج " عام 1975، ليكون من أبرز من رفعوا على مسيرة العلم والتعليم الكويتي العالي، أبرز علاماتِ الطريق ؟

منهجية الفكر النقدي عند د. عبد الله المهنا:

ليس سهلا في هذا السياق أن نتناول الأعمال العلمية والأدبية التي قام بها الدكتور عبد الله المهنا، ولا أطرافا من الرسائل الأكاديمية التي أشرف عليها أو ناقشها، ولا الأبحاث الرصينة التي قدمها والكتب التي ألفها، أوالمناصب التي تقلدها والمواقع التي قادها في مجالات التعليم والثقافة والفكر، وقد يكون مسعفًا هنا، أن يُلقيَ القارئ الكريم نظرات على السيرة الذاتية لعبد الله المهنا وهي متاحة، ومنشورة في "جوجل"، ليعرف أنها تتميز بالثراء والتنوع والجمع بين اللغات والثقافات ومختلف مجالات الفكر الأدبي والنقدي مع تركيز لافت على الحركة الأدبية في الوطن العربى، ولا سيما دول الخليج والكويت بصفة خاصة، ولا شك أن دراسته في جامعة " كمبرج " العريقة المنضبطة التقاليد، كان لها حضور قوي في صقل شخصيته ومنهجية تفكيره والتزامه إلى حد الصرامة بالانضباط والإنجاز، والذين أتيح لهم الاقتراب من الدكتور عبد الله فحاوروه أو قرأوا له كثيرا، يعرفون أن الرجل قد زاد حقل بحثه عمقا، وزاد حقول معرفته اتساعًا، وهم يعرفون أن الرجل، رحمه الله، كان عِلْمًا منضبطا، وفِكْرا منظما، وتواضعًا يأخذ القلب، وكل ذلك في حياءٍ غير مفارق، وفي عفة لسانٍ عرف بها، حين يخوض الناسُ مع الخائضين، وهذه الشخصية بملامحها العلمية والإنسانية، كان لها حضور قوي في زملائه وطلابه وقاعات بحثه، ولعل من الطريف أن أذكر للرجل، والحديث عن منهجية تفكيره النقدي، أنني ذات ليلة كنت في مكتبة رابطة الأدباء بالكويت أنتظر دخول الأمين، حين دخلت فتاة فظنتني هو، وسألتني عن دواوين للشاعر سعيد شوارب.. لملمتُ لحظتئذٍ فرحةً كفرحة الأطفال..

عرفتُ من الحوار، أنها واحدة من طلاب الدراسات العليا عند الدكتور عبد الله المهنا، في مقرر " مناهج البحث الأدبى" بجامعة الكويت، وفهمت أنه كلف الطلاب بتطبيق ما يختار كل منهم من مناهج البحث التي تعلمها، على دواوين سعيد شوارب.. لفت نظرها أنني أتحدث عن الدواوين حديث العارف، فاجأها الدكتور سالم عباس حين وصل وقد عرف سبب مجيئها إلى المكتبة، بأنها تحاور سعيد شوارب، فكأنما عثرتْ على ضالة لها.. راحت تمطرني أسئلة في قصيدة معينة في ديوان تريده، اسمها " إعادة محاكمة داحس والغبراء".. فتحتها لها من ديوان "ماقالت الريح للنخيل".. عرفنا منها أن الدكتور عبد الله يدرس لهم مناهج البحث الأدبي المختلفة في القاعة عبر التطبيق على نصوص يعرضها، وأنه يعلن لتلاميذه دائمًا أنه لن يغرقهم في التنظير والتحليل والتأريخ للمناهج النقدية والمصطلحات والأسماء الأجنبية على حساب تمكين الطالب من مقاربة النص بالمنهج الذي يطمئن إليه، وأنها هي نفسها ستطبق "المنهج التكاملي" في بحثها حول قصيدتي تلك، سرني أن طالبة تفهم إلى حد معقول أبرز الفروق بين المناهج وأهم آليات التطبيق، حسدتُ د. عبد الله المهنا وحمدتُ له أنه استطاع أن يجنب طلابه ضلالة التيه في زحام التنظير، وحرص على أن يحميهم من التباهي الزائف بالمصطلحات والأسماء في غير طائل علمي.. فهمتُ ليلتها فقط، لماذا دعاني الدكتور عبد الله مرة إلى حضور لقاء مع طلابه قبل أعوام، لأحدثهم في القاعة عن " تجربتي الشعرية " وأقدم لهم بعضًا من النصوص، وفهمت بعدها معنى طلبه المتكرر أن أعطيه جميع دواويني وأن أرسل إليه من القاهرة ما أكتبه من جديد الشعر، وأن أسجل تلك التجربة مكتوبة لتكون ملامح حية بين يدي من يتناول الدواوين بالدرس النقدي، ولا أظن من يتاح له فتح صفحته أو بريده الإليكتروني - رحمه الله - إلا واجدا من القصائد والمقطعات مالا أستطيع حصره الآن..رابط قوي عند عبد الله المهنا، بين مفاهيم الشاعر وثقافته، وانتماءاته وتصوراته للكون والحياة - وبين إبداعاته الشعرية.. الشاعرُ يغمس قلمه في قلبه المعمور بهذه المفاهيم ثم يكتب، فهي إذن التي ترشح للمبدع مفرداته الشعرية، وتختار له صوره، وتبنى جُملهُ، وطرائق التعبير في مُنجزه كلهِ.

واضحٌ أن تلك الطالبة قد أخبرت الدكتور عبد الله رحمه الله، بلقاء مكتبة رابطة الأدباء هذا، فقد حدد لنا موعدا بعد فترة في محاضرة له مسائية بكلية الآداب في منطقة " كيفان"، الدكتور سالم عباس خدادة والدكتورة هيا الشمري وأنا، لنشهد مناقشتة لأبحاث طلابه في مقرر "مناهج البحث الأدبى"، تلك التي اختار فيها الطلاب جميعهم ديوانا أو قصيدة من شعر سعيد شوارب.. كانت ليلة من الفرح مرتين، مرة بورشة العمل التي اتخذت من شعري موضوعًا للتشريح بمشارط هذه الطموحات الشابة، حيث تتحاور مع النص في مواجهة حية مع مبدعه، وتلك حالة لم نكن نحلم بمثلها حين كنا طلابا في أي من مراحل الدراسة الجامعية أو ما فوقها، ومرة لأن الدكتور عبد الله يرحمه الله كان طائر الفرح فائض الرضا عن طلابه الذين أتيح لهم ذلك الحوار الخاص، ثم الاحتفاظ بصور هذه اللحظات التاريخية في حياتهم مع أستاذهم وضيوفه في قاعة البحث.

كان الرجل، رحمه الله، محبا لطلابه مؤمنا بقدرة الشباب على الإبداع والتفوق إذا رزقوا أستاذا يأخذ بيدهم ويقدمهم للناس، ويشجعهم بحب، ولذلك فقد اختار عددا مميزا من أبحاث هؤلاء الطلاب، وجعل منها ملفًا طلب من مجلة البيان نشره مجتمعا أو تباعا، وقد قرأت بسعادة، واحدا من هذه الأبحاث منشورا، ذات زيارة للكويت، كانت " البيان " قد تفضلت بنشره بالفعل أوائل العام 2018 على ما أتذكر.

عبد الله المهنا أنقذنى من نفسى مَرَّةً ونِصْف

عبد الله، رحمه الله، صادق مع نفسه، صريح مع الآخرين.. أعدُّ نفسي من المدينين كثيرًا لهذا الصدق وتلك الصراحة عند الرجل.. قلت له – وحده – ذلك مراتٍ على سبيل التعبير عن الامتنان، ومن حقه الآن أن أقول لكم.. هممتُ ذات طيشٍ بعد أن ناقشت " الماجستير" في دار العلوم، وحصلت على عقد عمل للسفر إلى الكويت – أن أركب الطائرة، لكننى هُديت أن أشرح لعبد الله، وأسأله في رسالة بريدية قبل أن أفعل.. كان بيننا من مسافات الحب والبَوْح، ما يغلق مسارب الحرج والتردد.. جاءنى رده في صفحات مندهشًا إلى حد الغضبِ.. لا تفعل.. إن الأمر سيبدو شديد الاختلاف من جميع الوجوه،إذا تحملتُ إلى ما بعد " الدكتوراه ".. رحمك الله د.عبد الله المهنا.. كنتَ أثقب غضبًا، يوم بدوْتَ أحرصَ مِنِّى عَلَىَّ.. لقد بدت

رؤيتك النفاذة الهدوءِ للقصة، بعد أن أصبح الأمر شديد الاختلاف بالفعل، بل أصبح موضعا للإعجاب عند أسرتي، حتى كبر صغيرهم على حب عبد الله المهنا.. تلك هي عملية الإنقاذ الأولى وكانت في مصرعام 1983.

أما الأخرى، فقد كانت منذ فترة قليلة السنوات قبل رحيل د. عبد الله.. غير أني قبلتُ نصفها فقط، وتحايلتُ على بقيتها.. لقد كان الدكتور عبد الله يشفق من بعض كتاباتي عليَّ، فيطلب مني في أسلوبه الناقد الودود، أن أنزعَ بتجاربي الشعرية، إلى الجوانب الإنسانية والطبيعية والرمزية والفلسفية التي ميزت شعراء المهجر ومدرسة أبوللو على سبيل المثال، وأن أكتب كثيرا في تجربة الحب التي يقع فيها الشعراء كبارًا، وكان قد صرح لي مرات، بأنه شديد الإعجاب ببعض تجاربي في هذا الموضوع الأخير، وأنه يُسجِّل الكثير من الملاحظات النقدية حول هذا النوع من قصائدي، ليجعل لها، مكانا معتبرًا في سياق الكتاب الذي سيصدره فور الإنجاز، حيث قد جعل لهذا الكتاب عنوانا تمهيديا هو، " أصالة التجديد وتجديد الأصالة في شعر سعيد شوارب ".. وقد أطلعَنَا أنا وسالم عباس ذات زيارة، على ملف كبير، يحتوى على مشروع هذا الكتاب في منزله بمنطقة مشرف، ولم أكن – حتى مات الدكتور عبد الله المهنا رحمه الله – أعد زيارتي للكويت بعد ترك العمل بها، زيارة حقيقية، إلا إذا كان من مناسكها اللقاء في بيت صاحبي، وفي بيت صديق العمرالدكتور سعد مصلوح، بارك الله في حياته، ثم في ديوانية آل الغنيم العامرة بالمنصورية، وفي رابطة الأدباء بطبيعة الحال.. لم أعد أدرى مصير مشروع هذا الكتاب بعد رحيل د.عبد الله المهنا، وإن كان الدكتور محمود الربيعى، قد اقترح فكرة لعلها تكون إن شاء الله.

وعَدْتُ د. عبدَ الله المهنا، رحمه اللهُ، بخيرٍ فيما طلب، وكتبت الكثير بالفعل، أما اقتراحه الأول، فقد أخذت بنصفه تقريبًا حتى اليوم، ولعلِّي بعد د. عبد الله، وإكرامًا لهُ، ولِي، قادرٌ على الوفاءِ بهذا الوعدِ إن شاء الله.

يرحمُكَ الله " عبد الله المُهنَّا "، عالمًا جليلا، وإنسانًا عظيمًا، وصَدِيقًا مخلصا، وذكرى تستعصي على النسيان.

قــد كنتَ أجملَ حفلٍ حينَ تجمعُنَــا
وحيــنَ ترحلُ عنَّــا كيــفَ نحتفلُ؟.

أ. د. عبدالله المهنا
.. ذكريات لا تُنْسى

بقلم: د. أحمد بكري عصلة *

أول لقاء... وما بعده..

في أوائل تسعينيات القرن الماضي سألني المرحوم -بإذن الله- د. عبدالكريم الأشتر، المشرف على رسالتي للدكتوراه (الموت في الشعر العربي الحديث): هل تعرفت، في الكويت، على الدكتور (عبدالله المهنا)؟ قلت: سمعت به ولكني لم أتعرف عليه، ولم ألتق به... فقال: عليك به، اقترب منه، واحمل إليه تحيتي وأنت تحمل لقبَك العلمي الأعلى بعد أيام، فقلت: يشرفني ذلك، ولكن طبعي الحياء والخجل، وأنتم أدرى الناس بي، ولكني أعدك بأن أفعل... وكان اللقاء، ولكن المفاجأة التي شجعتني على لقائه إنما هي اتصاله بي اتصالاً لم أجد له تفسيراً سوى أن الدكتور (الأشتر) سبقني بالاتصال به، والطلب إليه أن يشجعني على زيارته.. وصدق حَدْسي وتوقعي، وكان اللقاء في مكتبه في كلية الآداب بجامعة الكويت، والأغرب أن أجده واقفاً على باب مكتبه متهيئا لاستقبالي قائلاً: أهلاً دكتور أحمد بكري.. وهذه هي المرة الأولى التي أسمع بها من يناديني بلقبي العلمي الجديد في الكويت، وكانت مفاجأة مذهلة لي، وسعيدة معاً، ولكنها امتزجت بحيائي وابتسامتي وأنا أصافحه وأقبله رداً على قبلة التهنئة التي بادرني بها لأشعر منها بإنسانية هذا الرجل، وتواضعه الجم، ووفائه لأستاذي (الأشتر) الذي ما نظر إليه يوما إلا على أنه أستاذه أيضاً وصديقه الذي لا يعدله صديق في حياته.

* أكاديمي سوري مقيم في الكويت.

قلت: إنها مؤامرة ضعت فيها أنا الصغير بينكما أيها الكبيران، فالرحمة والرفق وإلا ذبت حياءً، وضعت بين أسدين!! فابتسم د. (المهنا) ابتسامة طويلة لازمته طوال لقائنا الأول، وقال: أنت خير ضيف لي من خير صديق... وكان هذا اللقاء بداية للقاءات دامت وطالت، ولكن على أيام متباعدة، ولكنها كانت خير فرصة لي للوقوف على شخصيته، ومعرفة أبعادها والقيم التي كانت عليها.. وكنت في كل لقاء أحفظ في ذاكرتي أبرز ما كان يتم، وأبرز الآراء والتصرفات، ثم عمدت إلى تسجيل جلّها على صورة ذكريات لا تنسى.

واليوم، بعد أن غاب عن الحياة، أدركت في عمق وقوة وصدق أن أعماله النقدية والأدبية، على قلتها، لم تكن بعيدة عن حياته؛ فصفاء الذوق، ومحبة الناس، والصدور عن طبع مفطور، وكره الافتعال والتصنع، والنفوذ إلى الضياء الكامن في القلب، ويقظة النفس مع التخفف من سطوة العقل... كونت كلها اتجاهه في النقد والأدب، وهو اتجاه متأثر بأستاذي (الأشتر) الذي تأثر بوضوح بمذهب (محمد مندور) الذي عرف باسم (المذهب الجمالي) المعتمد على الذوق الذي ترهفه المعرفة والثقافة المتنوعة العميقة، ثم بمذهَبَيْهِ (الوصفي) و(الآيديولوجي) المبنين على قواعد النقد الأولى... وهكذا وجدت وحدة مذهبية فكرية نقدية تعتمد على تملك الأديب الناقد قدراته النقدية والفنية في ظل أي مذهب فكري يراه.

المحاضرة الصامتة

وفي خلال اللقاء الأول وما بعده من لقاءات حدثت ما يمكن تسميته بالتحرشات الضاحكة... منها أنه فاجأني بعد لقاءات بسؤال: هل تذكر لقاءنا الأول؟ ولكني أجبته من دون تفكير: وهل يعقل أن أنساه إلا إذا كنت لا أحب لقاءك، ولكنه قاطعني بقوله: لقد كنتَ مملاً في ذلك اللقاء، عابساً، صامتاً، أنتزع منك الكلمة انتزاعاً من دون أن أعرف سبباً واحداً لصمتك ذاك... وقال: ولكني فكرت في شخصِيتك كثيراً، وقلت لعله يقلد أستاذه (الأشتر) الذي – على الرغم من ابتسامته الدائمة – كان قليلَ الكلامِ... لكن الفرق بينكما هو التزامك العُبوس إلى درجة تُشعرُ بالغضب..!!

هنا شعرت بشيء من الضيق والحرج

ولكني تمالكت نفسي وحاولت أن أغير الموقف بشيء من المِزاح، فقلت: «إنه الصمت الإيجابي.. الصمت المعلِّم يا سيدي، ولعلك تعلمتَ مِنهُ...» هنا قاطعني قائلا: «أجل يا صديقي.. لقد كان صمتك «محاضرة صامتة» حدثت عنها طلبتي غير مرة، وكلمت الدكتور «الأشتر» بشأنها مرة فقال لي: هكذا شأنه يخجل من كثرة الكلام فإذا تحدث أصاب بقليل الكلام، وبِملامح الوجه واليدين، لكنه إن تعود عليك وأحبك فتح لك عقله وقلبه... لكني عارضته وقاطعته قائلا: لا يا أستاذي الكريم... إنه محاضر بصمته ولا يفهمه إلا مَنْ عرف آراءه ومواقفه معرفة كاملة... وأنا - بعد أن عرفته عن حق - أيقنت أن لقاءه الأول الصامت كان محاضرة صامتة عرفت منها أنه إنسان حذر، يحترم من معه، ويَصْبِرُ عليه، حتى إذا عرفه حق المعرفة لزمه والتصق به التصاق الروح بالجسد... هذا ما فعله بي وهذا ما تعلمته منه، ثم طبقته في بعض محاضراتي، ودعوت الطلبة إلى الصمت نصف ساعة، ثم التعبير عما

دار في نفس كل منهم على ورقة خاصة في عشرة أسطر... فكان لي من ذلك وريقات رائعات مازلت أحتفظ بها إلى اليوم!!».

هنا انتهى كلامُه مع الأشتر، لأ بدأ كلاماً قليلاً أعقبه صمتٌ طويلٌ، قلت: يا سيدي أنا مندهش وسعيد معاً، ولكني أستغرب لِمَ أخفى عني أستاذي الأشتر كلامك هذا على الرغم من لقائي به غير مرة بعد أن عرفتك؟! فقال: هي قصتك معه ولكَ أن تعرفها منه يرحمه الله، أما قصتك معي فقد عرفتها مني ولكني لم أعرف قصتي معك كما هي في نفسك يا صديقي الصغير!! فقلت: ولن تعرفها.. وهذا حق الصغير على الكبير..!!

إنه الدرس الذي تعلمته منه على مقاعد الحياة!! ولهذا كنت إذا فارقته أجد منه شيئاً في نفسي؛ صوته الهادئ، وضحكته الرقيقة، ورفةً حُلوة في جفنه تخفيها - أحياناً - (غترته) البيضاء التي تنسدل، غالباً، على جانبَيْ وجهه، وطريقته في التفكير في ما حوله... وكان لي من ذلك وجهة سلكتها للوقوف على أبرز مقومات شخصيته وآرائه..

نظرته إلى الطلبة

من ذلك موقفه من الطلبة، فهو لا يفرق بين طالبة وطالب، ولكن يعطي الأولوية للطالبة إيماناً منه - كما حدثني - بضرورة إنصاف المرأة، أو الإسهام في إنصافها، مبتدئين باحترامها مثلما يحترم الرسول صلى الله عليه وسلم نساءه وبناته ونساء المسلمين، أو يدعو إلى الرفق بهن، ولهذا كان يحث الطلبة على الاحترام، والتقدير، ومنح الطالبات أولوية الجلوس في المحاضرات حين تكون القاعة مختلطة، وهذا ما كان يثير بعض الطلبة، ويحرك ألسنتهم بشيء من السوء والظن القبيح، ولكن صفاء سيرة د. (المهنا) وإخلاصه، وصدقه، تمسح من أولئك الطلبة سوء الظن وتُحلّ مكانهُ الاحترام الصافي والتقدير الكبير...

هذه النظرةُ أوقعت طالبةً ساذجة في شيء من الحبّ له، واعترفت له بذلك قائلة: أستاذي الكريم نظرتُ إليك نظرة الابنة إلى أبيها، ولكني لم أستطع أن أقاوم الغرامَ الذي نما في نفسي نحوكَ... فماذا أفعل؟! وكان موقفه صامتاً ولكنه كان درساً كبيراً؛ قال للطالبة: أنا متزوج وأحب زوجتي وأحترمها... وأمامَنا أنا وأنت أحد حلين: إما أن أرحل عن الكلية وأستقيل لأبقى إلى جانب زوجتي، وإما أن ترحلي وتغادري الكلية أو تنسي الأمر كله!!

وغابت الطالبة عن نظره، ولم يعد أي منهما يرى الآخر إلى اليوم الذي حدثني فيه بأمر تلك الطالبة في عام ألف وتسعمئة وأربعة وتسعين إن لم تخني الذاكرة، وهو العام الذي تخرجت فيه تلك الطالبة، وزارته وزوجها في مكتبه لتقدم له الشكر والتقدير والاحترام!!

والأمر الآخر الجدير بالتقدير، في هذا المجال، حرصه على إنماء شخصية الطالب أو الطالبة، بإيجاد النموذج المحاضر منهما، وذلك بتكليف طلبته أداء المحاضرة عنه ولو لدقائق معدودة، وهذا ما قدره كثير من الطلبة فيه، بل إن بعضهم تنافسوا للقيام بذلك حتى إن أحدهم، وذكر لي اسمه، أغرم بالأمر، وعدّ نفسه ناجحاً تفوق على أستاذه نفسه، فقال له أمام الطلبة: دكتور هل نجحتُ في أداء المحاضرة؟ فابتسم الأستاذ وهز رأسه، وهو يبتسم، بالإيجاب، لكن الطالب ابتسم ابتسامة مَكر أو مداعبة وهو يوجه

سؤالاً إلى الأستاذ قائلاً: أستاذي أنا أعتز بك، وأفتخر بأسلوبك، ولكن، هل تراني وصلتُ إلى مستواك في التعليم وأدائه؟ فماذا كان رد د. المهنا؟ قال له: أستاذي الصغير أنا أعتز بك وبأدائك حقاً، ولكن أرى أن نتمكن من علم اللغة، ومن أساسيات علم النحو، فهما أساس تكوين الطالب الناجح، وعندها سنترك للآخرين فرصة الحكم علينا!! وانتهى الموقف بابتسامات من الطلبة واستغراب ودهشة استمرت بين الطلبة أياماً ولكنها لم تُنْسَ.

وَجرَّ هذا الموقف بعض الطلبة إلى حديث صريح مع الأستاذ يلخصه سؤال أحدهم: أستاذي، لماذا تغلب عليك الجدّية الصارمة وتغيب عنك روح النكتة والمرح في المحاضرة على الرغم من هدوئك ووداعتك؟ فكان الرد البعيدُ عن الغضب أو الضيق: يا بني.. بل يا أبنائي، أنا أبٌ قبل كل شيء، والأب يحرص على تكوين الأبناء وتنمية شخصياتهم بروح الجِدِّ والعمل والعلم والإيمان، ومتى تحقق ذلك تحققت الراحة للطالب والأب معاً من دون الاستعانة بالنكتة والضحك... فالكلمة النافعة، وأختها الطيبة تقومان مقام النكتة وروحها في شد الطالب إلى الأستاذ والوصول إلى أجمل غاية منشودة!!

وقال لي وهو يحدثني بذلك: إن الفعل يجب أن يسبق القول، أو يجب على الأقل أن يسيرا معاً، فابتسامة من الأستاذ ترضي الطلبة، وتغني عن النكتة، وكلمة حلوة تقوم مقام كثير من ألفاظ الإثارة والضحك والتحريك.. لهذا كنت كثيراً ما أنهي المحاضرة بدعوة الطلبة للتوجه إلى مسجد الكلية لأداء ما فات من صلاة وعلى وجهي ابتسامة خاصة تغري الطلبة بقبول الدعوة والعمل الصالح، وتجديد الهمة... وكنت أسبقهم بالاتجاه نحو المسجد، وفي قلبي لَجلجة الحث على التوجه إلى الله بقلبي قبل جسدي.

القدوة.. سمات شخصية..

ولعل من قبيل ذلك حرصُه على أن يكون مثالاً عملياً للطلبة في أمور عدة، أولُها الالتزام بالدوام والعمل بالحضور إلى مكتبه قبل كل مَن معه، وحرصه على دخول دَرسه ومحاضراته في الوقت المحدد والخروج في الوقت المحدد، واحترامه للطلبة، ذكوراً وإناثاً،

على حد سواء، وتواضعه الجم في التعامل معهم، لكنه كان يحرص على معاقبة المسيء معاقبة عملية تؤتي ثمارها في التو والحال؛ من ذلك، مثلاً، أنه، وهو داخل إلى مكتبه، صادف طالباً كان يُدخن في أحد الطرق المؤدية إلى المكتب، وحين انتهى من التدخين رمى عقب الدّخنة (السيكارة) على الأرض النظيفة، فأسرع د. المهنا إليه، وحمله ورمى به في سلة المهملات والطالب يراه، فما كان منه إلا أن لحق به وهو يناديه: دكتور.. دكتور.. لم أقصد أن.... فقاطعه الأستاذ -يرحمه الله-: ماذا تقصد.. عمّ تتحدث.. لا أفهم ما تقول...!! فما كان من الطالب إلا أن لزم الصمت، وخرج من المكان وهو يحمل عواقب ما فعل في نفسه وعقله، ويلوم فعله وهو يتمنى ويرجو لو تمكن من زيارة الأستاذ والاعتذار إليه مرات ومرات... كان حقاً درساً كبيراً لم يتعلم منه هذا الطالبُ فحسب، بل عدد آخر ممن كانوا على قرب من مكان الحادث!!

ومن قبيل التواضع، أيضاً، اعتذاره عن تلبية كثير من الدعوات المحلية والعربية والدولية للمشاركة باسم الكويت، والإقلال من الظهور في المناسبات العامة، حرصاً منه - كما ذكر لي - على منصبه عميداً لكلية الآداب، أو على اسمه أستاذاً فيها، من أن يقال ما يقال في مَنْ يكثرون من هذا النوع من الظهور!

وكان - كما ذكر لي - لا يرغب في الإكثار من التأليف والكتابة، ويميل إلى الإقلال بحجة أن الساحة حافلة بالمؤلفات في مختلف الموضوعات والأغراض، وأن كبار الكتاب لم يتركوا موضوعاً إلا طرقوه، ولا سيما كتاب مصر العظيمة - كما قال - الذين لم يترك أولهم لآخرهم شيئاً.. وهذا موقف جدير بالنظر، وهو يُصرّ عليه على الرغم من أني ناقشته فيه، وعارضته معارضة قوية، ودعوته إلى الاقتصار في الكتاب على الساحة الكويتية، أو الخليجية الحافلة بالكتاب والكتب الإبداعية، الخاوية إلى حد بعيد من جهد النقاد وأعمالهم، لكنه أصَرّ على موقفه تاركاً الأمر لمن يرغب دونه في ذلك، زهداً منه في الشهرة وحرصاً على حفظ اسمه،

وكراهةً في انتقاد أيّ من كتاب الكويت أو غيرها من دول الخليج... ثم لإيمانه بأن الكاتب بما يقول وليس بما يكتب في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي، ولكنه - والحق يقال - كان في الكلام أقل منه في الكتابة والتأليف، وهذا ما أشرت إليه في حديث خاص... ولكنه اكتفى بابتسامة لا أدري أهي ابتسامة المقِرّ المعترف أم ابتسامة الساخر المنتقد!

آراء..

على صعيد آخر، وفي خلال أحاديث عدة، كانت له آراء في عدد من الشعوب العربية، وفي عدد من أعلام مصر خاصة، وبعضُها كان رداً على أسئلة وجهتها إليه سواء في لقاءات وزيارات خاصة، أم عبر الاتصال الهاتفي...

«المصريون شعبٌ طيب، مثقف، عريق الأصول، مختلط الفروع، وهذا ما غذى الفكر المصري على مر العصور، ومنح مثقفيه قوةَ التأثير بالفكر الإسلامي وقوة التأثير فيه».

كلام حرفي سجلته من لقاء حضره د. محمد ألتونجي وكان وقتها أستاذاً زائراً لجامعة الكويت، عافاه الله وأطال في علمه وعمره. وفي هذا اللقاء تحدث عن السوريين خاصة، وأهل الشام عامة، فقال: «لا يقل السوريون والشآميون - كما قال - ثقافة وخبرة في اللغة والأدب والفكر عن المصريين، فهما شعبان محبان للعلم والعلماء، لكني أرى وحدة الطابع في الشاميين سواء كانوا في بلدانهم أم خارجها، أما المصريون فكبار رجالاتهم لا يغادرون الوطن للعمل إلا قلةً قليلةً كان للكويت النصيب الأكبر منها».

وفي خلال هذا اللقاء طلب إلي العمل مدرساً في كلية الآداب بنظام الساعات المأجورة، فوافقت راغباً على أمل الانتقال الكامل إليها، لكن رئيسة قسم اللغة العربية، آنذاك، ولا أذكر اسمها، حالت دون ذلك، فبقيتُ إلى اليوم أعمل في غير كلية بنظام الساعة أو المحاضرة.

وعلى هامش الحوار في ذلك اللقاء وجه د. ألتونجي سؤالاً أراد به الإحراج، ولكن المرحوم أجاب بسعادة وأريحية. كان السؤال: ما رأيك في أسرة آل

الصباح حاكمة الكويت؟ وكان الرد: «هي خير من يحكم الكويت ويقود إلى الفلاح والنجاح وتحقيق العدالة بين مختلف الطوائف والسكان وحتى المقيمين الأحبة».. ردّ جعل السائل يبتسم ابتسامة الموافقة والرضوان، ويتجه إلى سؤاله عن عباقرة مصر وروادها: طه حسين، والعقاد، والمازني، وهيكل، والرافعي، وعن أديب الفقهاء وفقيه الأدباء السوري علي الطنطاوي، يرحمهم الله.

وكان الرد: «إنهم قِمم لا ترتقى، ونماذج تحتذى من دون الوصول إلى درجاتها العلا... وليس كل من قرأ لهم أو قلدهم أصبح مثلهم.. إلا هذا». وأشار إليَّ وهو يضحك ضحكة عالية، ضِقتُ بها قليلاً وأنا أداري ضيقي بابتسامة مداراة خوف أن يكون في كلامه شيء من السخرية والأذية لي؛ إذ مَنْ أنا أمام قامات هؤلاء العظماء، وأنا مازلت في مبتدأ حياتي الأدبية... لولا أن قال: «.. نعم أنت د. أحمد... لقد قرأتَ كلّ هؤلاء، وكتبتَ عنهم، ومدحت فكرهم ومكانتهم، وقَبست من أساليبهم الكثير من صُواهم... فأنت الآن تمثلهم ولكنك لن تكون واحداً منهم.. ربما تفوقُهم.. لكنك لن تكون أقل منهم..!!». وشدني هذا الكلام، وأعجبني، وأنا - حقاً - أحبهم جميعا - وتعلمت منهم جميعا، ولكل منهم فضله الكبير علي... لهذا كتبت منذ أشهر خاطرة نتجت عن مطالعتي من جديد كتاب طه حسين «أديب» وفيها تذكرت كيف أنه لم يخطر لي وأنا طالب في المرحة الثانوية، ثم في كلية آداب حلب، أن أبحث عن خطأ لغوي أو نحوي أو سواهما في ما كتب، والأمر ينطبق على الآخرين، ولكني حاولت هذه السنة، وقد صلب عودي، أن أعثر على شيء من تلك العثرات في أي من كتب هؤلاء العظماء، ولكني عجزت.. وأقررت بِقممية كل منهم، وعظمته، وأحقيته في القدوة والقيادة!!

وبعد.

فهذا غيضٌ من فيض ذكرياتي مع المرحوم د. عبدالله المهنا الأستاذ والعميد والأديب القدوة، أرجو أن أكون قد وفيتُ بها بعض حقه علي، وبعض حقوق طلبته ومحبيه.

والحمد لله على كل حال.

عبدالله المهنا..
كتاب صفحاته مشرعة بسخاء

مثل رفّة جناح طائر في هواء ساكن، كان يطل الراحل الدكتور عبدالله أحمد المهنا-يرحمه الله- بهدوء ووقار، كأنك تسمعه ولا تراه. قبل دهر من الزمن، مدت المودة جسورها بيني وبينه. ظل زمناً لا يستخدم الهاتف المحمول، فكان هو الوحيد الذي أتصل به على هاتف منزله. لذلك ظل صوته راسخاً في الذاكرة متفرداً بإيقاع الجيل الذي لم تفسده مباهج الحياة. كان يعتذر عن كثير من المكافآت المالية التي تقدمها له مؤسسات ثقافية نظير أعماله الأدبية، يكتفي بابتسامة تحكي قصة زهده بالمال ويعوض عن ذلك طمعه في العلم، لدرجة الشغف. لم أشاهده يوماً من دون كتاب في يده او أوراق للبحوث.

بقلم: عدنان فرزات *

بعد سنوات من التواصل، هيأ لي الله عز وجل فرصة أن نعمل معاً في مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية. كان هو مستشاراً لمركز البابطين لحوار الحضارات الذي تأسس في عام 2005 في قرطبة بإقليم الأندلس. مهمة المركز

* روائي وإعلامي من سوريا مقيم في الكويت-سكرتير تحرير مجلة البيان.

لم تكن سهلة، إذ كان يقوم بدور الناشر للغة العربية وثقافتها هناك. وهذه المهمة تقوم بها مؤسسة البابطين عن طريق الجامعات المرموقة. فكان الدكتور عبدالله المهنا نداً ثقافياً يعتز به المثقفون العرب والأجانب على حد سواء.

قدم الراحل للمركز أعمالاً عظيمة، منها أني كنت يوماً في غرناطة بالأندلس مع رئيس المؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين وشقيقه رجل الثقافة أيضاً عبدالكريم سعود البابطين، وكانت الرحلة من أجل توزيع الجوائز على الفائزين بجائزة عبدالعزيز سعود البابطين للدراسات التاريخية والثقافية في الأندلس"، والتي أنشأها البابطين مكافأة لمن يقدم دراسة تاريخية منصفة وموضوعية عن تاريخ المسلمين هناك. وكان معنا في الجلسة نفسها مدير مكتب المؤسسة في أسبانيا الدكتور نادر الجلاد. يومها كانت أعمال مؤسسة البابطين تتراكم بزخم كبير في أسبانيا، وخصوصاً في ما يخص دورات اللغة العربية ودورات المرشدين السياحيين والتي تخرج منها الآلاف ما بين أكاديميين وطلبة ومرشدين سياحيين. فاقترحتُ على رئيس المؤسسة أن يتم توثيق هذه الأعمال لتبقى خالدة في وجدان التاريخ وحتى لا تضيع هذه الجهود في مهب النسيان فلا يستفيد منها الباحثون والدارسون والأجيال اللاحقة.

يومها كان الكاتب عبدالعزيز السريع هو الأمين العام للمؤسسة، وعندما عدت من الرحلة شرحت له النقاش الذي دار مع رئيس المؤسسة، فاستكمل السريع إجراءات إصدر الكتاب، وكلفني بالعمل مع الدكتور المهنا والدكتور نادر الجلاد، فكانت تجربة ثرية بحق استفدت منها الكثير، كنا خلال العمل لا يكتفي الدكتور المهنا بالإشراف عن بعد على الكتاب، بل يتابع معي كل صغيرة وكبيرة، وكان أحياناً يأخذ الصفحات المنجزة إلى بيته يراجعها بإخلاص ثم يعود في أيام عطلته الجامعية إلى مؤسسة البابطين الثقافية لاستكمال العمل في الكتاب، وظل هكذا دؤوباً حتى صدر الكتاب بفضل الله وبسبب دعم عبدالعزيز سعود البابطين للمشروع.

تعلمت الكثير من هذه التجربة في إعداد كتاب أشرف عليه الدكتور المهنا، لم أكن أعتبر الكتاب هو فقط الذي عملنا به، بل كان الدكتور المهنا هو نفسه كتاباً أيضاً..كتاباً من صفحات مليئة بالخبرة تركها لي مشرعة بسخاء.. وغادر.

.. ورحل عبدالله المهنا

حمل لنا شهر سبتمبر من هذا العام خبراً عكر صفو الأوساط الأدبية والثقافية في الكويت والخليج والأقطار العربية، ألا وهو خبر وفاة الدكتور/ عبدالله المهنا، ذلك الرجل الذي أفنى حياته في خدمة العلم والثقافة والأدب، وصنع من اجتهاداته اسماً كبيراً يشار له بالبنان.

بقلم: محمد الفارس *

يعتبر الدكتور عبدالله المهنا من خيرة الكتاب الذين أنجبتهم الكويت، فقد تميزت دراساته النقدية بالأسلوب الواضح والبسيط، وبالموضوعية المشبعة بخبرات رجلٍ عاصر كبار المفكرين العرب في بداية انطلاقته، واحتك بهم واستفاد من علمهم، مما ساعده على تكوين شخصية أدبية لها ملامحها الخاصة وسماتها التي عرفت بالاتزان والطرح المبني على الأدلة العقلية فيما بعد.

كنت ولازلت من أولئك المحظوظين الذين خدمتهم الظروف وتتلمذوا على يد هذه القامة الأدبية الشامخة، من خلال دراستي للشعر الجاهلي عند الدكتور عبدالله المهنا في جامعة الكويت، ويعلم الجميع أن الدكتور عبدالله المهنا حاصل

* كاتب كويتي.

على الدكتوراه في الشعر العربي القديم من جامعة كامبردج في بريطانيا عام ١٩٧٥م، وهو متخصص في هذا المجال الذي أضفى عليه إبداعاً وفناً من خلال دراساته وأبحاثه العلمية في الشعر العربي الجاهلي.

لم ولن أنسى إهداءه إياي كتابه " تجليات أبنية الخطاب الشعري عند أحمد مشاري العدواني " في عام ٢٠١٤م حيث استفدت من طريقة طرحه للفكر النقدي المنهجي السلس.

رحم الله الدكتور عبدالله المهنا، فقد كان نبراس علمٍ وشعلة فنٍ ومقباس نقدٍ وأدب، سار بنورها من كان النور مبتغاه والعلم مطلبه.

صعدتَ إليهِ سَجّاداً تُصَلي

شعر: مشاري الموسى *

بقلبـي غُصّـةٌ والعيـنُ تَهْمِـي
يُغالِـبُ دَمْعَهـا وَلَهـاً دِماهـا

بأنْ طعنتْ صروفُ الدهرِ صدري
فقـدْ غـابَ الثريـا عنْ سَـماها

أنا بالأمـسِ عبـدَ اللهْ المُهَنّـا
أقبِّـلُ غُـرّةً لـمّـا أراهـا

وأمَّـا اليومَ في الأحشـاءِ شـوقٌ
إلـى وَجْـهٍ تبسُّـمُـهُ ضِـياها

أنا بالأمـسِ عبـدَ اللهْ المُهَنّـا
أصافِـحُ يَمْنـةً يسخـو نَداها

وأمَّـا اليـومَ أزْهـاري ذُبـولٌ
كأنَّ سمـاءَنا شَحَّـتْ بمـاها

أنا بالأمـسِ عبـدَ اللهْ المُهَنّـا
عصافيـري تُغـرِّدُ فـي غِـناها

وأمّـا اليـومَ باكيـةٌ طيـوري
وموحـشةٌ رِياضـي مـعْ رُباهـا

أنا بالأمـسِ عبـدَ اللهْ المُهَنّـا
غيـومي سـاخياتٌ في عـطاها

وأمّـا اليـومَ نفْـسي في شقـاءٍ
كأنَّ الجَمْـرَ يُحْرقُـها لـظاها

* شاعر كويتي.

ولكــنْ لــي عــزاءٌ أنَّ رَبِّــي
لروحِكَ قــد تخــيَّرَ فاصطَفاها

تَرَكْــتَ مَحاسنَ الأخــلاقِ فينا
كزَهْرِ الروضِ تســمو في شَــذاها

صَعَــدْتَ إليهِ سَجّــاداً تُصَلِّي
وذا للنــاسِ غايــةُ مُنْتَــهاها

سألتُ لــكَ الغمامَ تجودُ دَوْماً
عــلى أرضٍ حَوْتْــكَ إلى ثَراها

رَحَلْتَ وقــدْ تركْتَ أبا مُحَمَّدْ
بــذورَ الخــيرِ دانيــةً جَنــاها

سألــتُ لروحِكَ العَلْــيا إلهي
لــكَ الفردوسَ في أعــلى عُلاها

* * *

مَهْلاً أيُّهَا الرَّجُلُ .. صوتان في قصيدة ..

بقلم: د. سعيد شوارب *

ملحوظة:

الصوت الثاني، إهداء إلى روح أخي الحبيب ، وزميلي المرحوم -بإذن الله- الدكتور عبد الله المهنا أستاذ الأدب العربى بجامعة الكويت، في صمته الأبدى ، وفي داره الآخرة .

الصوت الأول، كان سيُهدَى إلى الناقد المهم الدكتور عبد الله المهنا، في داره الجديدة، تلك التي كانت مجلجلة بالفرح بعد انتقاله حديثا، إلى منطقة السرة بالكويت... غير أن الموت، كان أسبق من كل شيء .

أبَـا مُـحَـمّـَـدُ ذابــتْ أحــرُفِـي خـجَـلًا
فـي نـهْـرِ قـلْـبِـكَ، مَـهْـلًا أيُّـهَـا الـرَّجُـل
نَـزَلْـتُـهُ لهفَةَ الأشْـــوَاقِ، مُبْتَدِرًا
مَـوْجًـا،بـألــوانِـهِ قــدْ يُـضْــرَبُ الـمَـثَـلُ

* شاعر وأكاديمي مصري.

إذا تُفَـجِّـــرُ أنْـــواءُ الأسَـــى فَـــزَعِـــي
عَـيْـنَـاك يُـشـرقُ فـي مِينَائِها الْأَمَـلُ
فليسَ يَـجْـمـعُ قلبِي غَـيْـرُ "شِيفْرَتِها"
كـأنَّـمـا فـي بـحَـارِ الـغَـيْـبِ تَغْتَسِلُ
أمـواجُـهَـا سَـافـرَتْ فـي الـشَّـوْقِ،لَا لُـغـةٌ
تـقُـولُ مثْـلَ الـذي قـالـتْ لـيَ الْمُقَلُ
تُـعـبِّـئُـونَ حنَـايَـانَـا نَـــدًى ، وَشَـجًـى
يـا أيـهَـا القلْبُ قُـل لـي كـيْـفَ تَحْتَمِلُ
غـرَسْـتَ فـي الـقـلـب مِـنِّـي ورْدةً فـغـدتْ
حـدائـقُ الـحُـب تَـمْـشِـي حَـيْـثُ أنْتَقِلُ
بِـــكْـرٌ حُـــضُـــورُكَ، لا شـــيءٌ يُـشـابـهُـــهُ
فكيْف قَـلْـبٌ عـلَـى الْأنَـهَـارِيـشْـتَـمِـلُ؟
زرعـــت لـلـنـقـد أنـــوالًا ، وأشْـــــرعَـــةً
فَـكُـلُّ مَـنْ مَـــرَّ فـي بُـسـتـانِـهـا غَـــزَلُـــوا
مـا الـشـعْـــرُ بـعـدَكَ؟ آهٍ مِـــنْ حـدائـقِـهِ
حـــرائـقٌ، فـي حـقـول الـعُـمـر تـشـتَـعِـلُ
مَـا وحْـشَـةٌ فـي حُـرُوفِـي؟كـيـف أجمعُـهـا،
اَلـخَـيْـلِ وَدَّعَـــهَـــا فـي حُـزْنِـهَـا الـصَّـهَـلُ
أبـــا مـحـمـدَ ، مـــاذا عـــن عـــهُـــودِكَ لِـي
اُتـــرُكْ لـنَـا مَـــرَّةً فـي الـسَّـبْـقِ يَـا رَجُـلُ

وهــل تُــغــادرُنَــي والأرْضُ بَــاخلَــةٌ
بــبعْــضِ نَـــوْرٍ،وفــي آفـاقِــنَــا زُحَــلُ
قـدْ هـدَّنَـا الــدَّرْبُ خَـطْـوًا غَيْرَمُحتَمَلٍ
فـكَـيْـفَ بَـعْـدكَ طعْـمُ العُــمرِ يُحتمَلُ
لَـكَـمْ حَـمَـلْـنَـا جِـرَاحًـا، رُبـمَـا بَـرِئَـتْ
لـمْ نَــدْرِ أنَّـا بِــوَادِي الْـمَــوْتِ نَرْتحِـلُ
بَـحْـرٌ مـن الْـغَـيْـبِ لَا تَـبـدُو أوَائِـلُـهُ
تَـكَـادُ تَـغْـرَقُ في شُـطْـآنِـهِ الـرُّسُـلُ
سَـبـقْـتَـنِي وَتَـرَكْـتَ الـنَّـارَ فِـي كَـبِـدِي
تَـرْعَـى،وَلَا حَـوْلَ لِـي فيهَا وَلَاحِــوَلُ
مَـاالْـقَـلْـبُ بَـعْـدَكَ؟بَـيْـتٌ لَا أنِـيـسَ لَـهُ
فِـيـهِ الْأعَـاصِـيـرُ وَالْأبْـــوَابُ تَقْتَتِلُ
مَـنْ لِـي بِـحَـظِّـكَ؟لَا فِـرْعَـوْنُ مُنْتَسَخٌ
مِـلْـيُـونَ مَـسْـخٍ،وَلَا الْإنْـسَـانُ يُنتعَلُ
خَـرِيـطَـةٌ مِــنْ خَـزَايَـانَـا مُــوَزَّعَـةٌ
فِـي الْـعُـرْبِ بِـالْـعَـدْلِ، كَـالْـكَـابُوسِ تَنْتَقِلُ
آهٍ لأحْـلامِـنَـا وَالـشَّـمْـسُ مُظلِـمَـةٌ
لَا الْـفـجْـرُ لَاحَ ، وَلا الْـمِـيـزانُ يَـعْـتَـدِلُ
يَـا أيُّـهَـا الـشِّـعْـرُحَـرْفِـي لَـيْـسَ يَسمَعُنِي
الْأبْـجَـدِيَّـاتُ عِـنْـدِي كُـلُّـهَـا خلَـلُ

كـأنـمـا مَــاتَ فـيـهَـا مـنْــذُ مُــتَّ،هَـوًى

فـلـيـسَ لِـلْـحَـرْفِ مُـذْ غَـادَرْتَـنِـي عَــمَـلُ

مُـعـلَّـقٌ أَنَــا فـي شُــرْفَــاتِ أَسْـئِـلَـتِـي

وَعِـشْـقِـيَ الـشَّـمْـسَ يُـغْـرِيـنِـي، فَـأَبْـتَـهِــلُ

وَكـيْـفَ أَرْثِــي أَنَـا مَـعْـنَـاكَ فِـي لُـغَـتِـي

هَـلِ الْـمَـجَـازَاتُ مِـثْـل الـنَّـاسِ تُـعْـتَـقَـلُ

تـقـزَّمَ الـشـعـرُحـتَّـى ضَــاقَ عــنْ وَجَـعِـي

وَمَــاتَ حَـرْفـيَ حـتَّـى لـيْـسَ يَـنْـفَـعِــلُ

وضــاعَ مَـا كـنـتُ أرْجُــو حـيـنَ أرْسُـمُـهُ

كـمَـا تَـضِـيـعُ عَـلَـى أَقْــدَامِـيَ الـسُّـبُـلُ

كَــمْ لـلـمُـحِـبِّـيــنَ دَمْــعٌ حـيـنَ تـضْـرِبُـهُـمْ

أَيَّــامُـهُــمْ بـجِــراحٍ لَـيْـسَ تَـنْـدمِـلُ

إنِّــى تُــدَوِّى دُمُــوعِــي وَهْــيَ صَـامِـتَـةً

حَـتَّـى بَـكـانِـيَ فِـي مَــأسَـاتِـيَ الـطَّـلَــلُ

أَبَــا مُـحَـمّـدَ مَـاتَـتْ أحْـرُفِـي حَـزَنًـا

فـي يَــوْمِ مَـوْتِـكَ مَـهْـلًا أَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ

هَـبْـنِـي بِـحَـقِّـكَ حَـرْفًـا،عَـلَّ مَـوْهِـبَـتِـي

رَمَــادُهَــا فِـي مَــدَى بَـلْـوَايَ يَـشْـتَـعِـلُ.

الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور حسين أحمد الأنصاري المحترم
مدير جامعة الكويت

الموضوع : **إهداء مكتبتي الخاصة إلى جامعة الكويت.**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ،،،

بمناسبة تقاعدي عن العمل بالجامعة ، ورغبة مني في إثراء مكتبة الجامعة ببعض الكتب العلمية القيمة بُغية الإفادة منها سواء لأعضاء هيئة التدريس أو الطلبة ، فإنه يسرني أن أفيدكم برغبتي في إهداء مكتبتي الخاصة في مجال تخصصي إلى جامعة الكويت ، وهذه المكتبة تتضمن عدداً لا بأس به من الكتب القيمة ، فأرجو التفضل بالموافقة ، واتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة التي تكفل نقل هذه المكتبة وفقا للقواعد المعمول بها في الجامعة بهذا الشأن.

شاكرين لكم كريم تعاونكم ...
وتفضلوا بقبول فائق التحية والتقدير ،،

أخوكم

أ.د. عبد الله أحمد المهنا

٢٠١٨/٢/١٢

للتواصل : **99883337**

دراسات

الثقافه العربية في بلاد ما وراء النهر

بقلم: نادر بن وثير *

بين نهري جيحون وسيحون في أواسط آسيا، كانت الثقافة العربية هي الثقافة السائدة والرائجة، تلك البلاد التي تبعد عن بلاد العرب آلاف الأميال، ونشأ بها ما لا يحصى من العلماء والشعراء والأدباء والفقهاء ورجال الحديث والفلسفة، وقد صنّف هؤلاء الأعلام مصنفاتهم التي جاوزت شهرتها الآفاق باللغة العربية التي هي لغة العلم والأدب منذ الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر إلى الغزو المغولي.

في بداية النصف الثاني من القرن الهجري الأول انطلقت الجحافل العربية المجاهدة لفتح بلاد ما وراء النهر (أوزباكستان وطاجكستان حاليا) فقطع العرب نهر جيحون الفاصل بين أرضي توران وإيران، وكانت أول غزوة إسلامية بقيادة عبيدالله بن زياد الذي عبر النهر بجيش عرمرم يُقدر بأربعة وعشرين ألفا سنة ٥٤هـ ففتح بيكند قصبة التجارة وفرض الجزية على بخارى،، وتوالت الغزوات على بلاد ما وراء النهر حتى جاء الغازي العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي الذي أدى حذره وشجاعته وقوة جلده إلى غرس بذور الحضارة الإسلامية في آسيا الوسطى، الذي قال عنه الإمام الذهبي: أحد الأبطال والشجعان، ومن ذوي الحزم والدهاء والرأي والغناء.

حمل قتيبة بن مسلم راية الجهاد في بلاد ما وراء النهر وظل يجاهد طيلة

* كاتب كويتي.

عشر سنوات (٨٦ – ٩٦ هـ) ففتحت على يديه من الله حواضر تلك البلاد ومدنها الساحرة التي طالما تغنى بها الشعراء والأدباء (بخارى، وسمرقند وخوارزم وفرغانة) تلك المدن التي كانت في صدر الإسلام مركزا للثقافة القديمة وفنون السِلم التي ذاع صيتها بما حباها الله من طبيعة آسرة وجمال كثير.

فبلاد ما وراء النهر التي كانت تعيش في إنشقاق سياسي قبل الفتح الإسلامي وكانت مقسّمة إلى خَمْسَ عشرة إمارة يعادي بعضها بعضا، مما تسبب في حروب طاحنة فيما بينها، والذي أدى إلى تدهوّر حال البلاد اقتصاديا، أما عن حال البلاد اجتماعيا فقد كانت في أسوأ حالاتها فقد كان الناس يمارسون طقوس وعادات مذمومة لا توافق الفطرة البشرية الحميدة، وأما المجتمع فإنه مقسم إلى طبقات منها العليا (طبقة الملوك وملاك الأراضي) التي تتمتع بكثير من الحقوق والمزايا كافة، وأما باقي الطبقات فقد حرمت من حقوقها، لذلك كانت أحوال هذه الشعوب متدنية ومنحدرة تتراجع من سيئ إلى أسوأ، فلما جاء الإسلام تكفل بإزالة الممارسات والطقوس الخاطئة والمساواة بين كافة الطبقات الاجتماعية، وجمعت هذه الشعوب في حكومة واحدة.

ذكر المؤرخون أن بلاد ما وراء النهر كان يقطنها عدة عناصر أولها وأكثرها العنصر التركي الذي هاجر إليها منذ آلاف السنين، ولم تخلُ البلاد من عناصر أخرى قليلة مثل العنصر الفارسي والصيني والآري، وكانت الحال الدينية لا تختلف عن الحال السياسية والاجتماعية بانقسامها وتشققها فقد كان هناك عدة ديانات شرقية مختلفة دخلت عليها من البلدان المحيطة لها منها الزرادشتية والبوذية والنصرانية واليهودية، وكل هذه الأديان اندثرت ودخل الناس في دين الله أفواجا إلا بقية من اليهود الذين ظلوا على دينهم، هذا ما أكده المستشرق بارتولد في كتابه "تاريخ الترك في آسيا الوسطى".

لم يكن الفتح العربي الإسلامي يشبه غيره من الفتوحات السابقة مثل الإسكندر المقدوني أو من جاء بعد الفتح الإسلامي مثل الغزو المغولي أو الروسي،

فقد كان أولئك غزاة حضارات إذا وطئوا قَرْيَة جعلوا عاليها سافلها، وأعملوا في السكان قتلا وسبيا، إنما كان الفاتحون المسلمون لهم غاية عظيمة وهي إبلاغ الناس الرسالة النبوية، وترسيخ مبادئ العدل بين الناس كافة.

عندما تم الفتح وهدأت الحرب، بدأت سياسة توطين العرب في بلاد ما وراء النهر منذ عهد مبكّر، وكان لهذا الاختلاط بين العرب والسكان الأصليين أكبر الأثر في التمكين للسيادة الإسلامية وسهولة انتشار الثقافة العربية في هذه البلاد.

أمدنا المؤرخ العربي أبو بكر النرخشي (ت ٣٤٨) بمعلومات تفصيلية حول إسكان العرب في بخارى، فذكر أن أبناء قبيلتي ربيعة ومضر استقروا في الناحية الممتدة من باب السوق عند باب الحديد وباب نوه، وما تبقى كان من نصيب اليمانية، إضافة إلى قبائل عديدة سكنت بخارى، مثل قبيلة بني سعد وبني أسد، وذكر لنا المؤرخ القدير ابن الأثير أن قبيلة بني بكر بن وائل طاب لهم المقام في سمرقند، ذكرهم بن حوقل بقوله أن لهم دور، وضيافات، وأخلاق حسنة. وقد انتشرت القبائل العربية في مختلف المدن الواقعة قرب شواطئ

جيحون وسيحون البهيجة، كي يساهموا في عملية البناء الحضاري، فقد أنعشوا الزراعة والصناعة والتجارة، وأنشأوا المدارس والمساجد والقصور الفاخرة، وصارت بلاد ما وراء النّهر جزءا لا يتجزأ من جسد الدولة الإسلامية، وظل الولاة العرب يتناوبون عليها منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة السامانية الفارسية سنة ٢٦٠هـ أي دام الحكم العربي المباشر للبلاد مئة وسبعين عاما، ثم بعد ذلك استقل آل سامان ذاتيا عن الخلافة العباسية وإن كانت تظهر التبعية الاسمية وتدفع الخراج للخليفة في بغداد.

الثقافة العربية

تقول النظرية الشهيرة التي رسمها العلامة ابن خلدون: (أن المغلوب دائما مولع بتقليد الغالب) لذلك ليس بغريب أن نرى سكان البلاد من الترك والفرس يتثقفون بثقافة العرب، بعدما دخل نور الإيمان في قلوبهم، وأصبحت اللغة العربية هِي أكثر اللغات تحدثا ونطقا في بلاد ما وراء النّهر حتى بعد زوال السيادة العربية عن البلاد ظلت هذه اللغة لغة التجارة والعلم وعامة الناس، وقد فضلها على غيرها من اللغات جُل العلماء وعلى قول العالم الشهير أبي

الريحان البيروني (ت ٤٤٠) الذي كان من أهل خوارزم يقول: الهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية.

لقد كان لاختلاط العرب بالسكان أثر في التمهيد لانتشار اللغة العربية وخاصة لمن يرغب في طلب العلم أو التجارة أو التقرّب من الإدارة الجديدة، لذلك ظهر من البخاريين والخوارزميين والسمرقنديين فحول الفقهاء والمحدثين، أشهرهم وأعلاهم منزلة إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح، والفقيه أبو الحفص البخاري، والمحدث الترمذي صاحب السنن، وأبو عبدالله الخوارزمي عالم الرياضيّات، وعالم الفلك أحمد الفرغاني، وغيرهم من مشاهير الإسلام التي عجزت أقلام المؤرّخين من إحصائهم أو ذكر أسمائهم في مصنف واحد.

الأدب

ظهر في بلاد ما وراء النهر ثلة من شعراء العربية ذكر الثعالبي عدداً كبيراً منهم في كتابه "يتيمة الدهر" وكانت هذه البلاد جاذبة للشعراء خاصة في عهد دولة آسامان الذين أكرموا العلم وأهله وأمدوا شعراء العربية والفارسية بالمال الوفير لذلك أصبحت البلاد بيئة جاذبة للموهوبين، وصار الشعراء يتجهون اتجاهات مختلفة، مثل الشاعر الماجن أبي الحسين السهيلي الخوارزمي:

ألا سقنا الصهباء صرفاً فإنها
أعز علينا من عتاق الترحُّلِ
وإني لأقلي النُقل حباً لطعمها
لئلا يزول الطعم عند التنقلِ

وعلى النقيض من مجون السهيلي كان الشاعر المأموني له قصائد تبتل إلى الله وزهد في الدنيا الفانية:

إلـه الخلق معبودي
وفِي الحاجات مقصودي
ودين الكفر مردودي
وعصمة خالقي وزري

ولم يترك شعراء بلاد ما وراء النّهر بابا إلا طرقوه خاصة الاتجاه العربي الكلاسيكي كالمدح والهجاء والفخر والرثاء والغزل والوصف والكرم، وعلى سبيل المثال لا الحصر مدح أحد الشعراء وزير الدولة السامانية أبي نصر العتبي:

جمع الله للوزير أبي نصرً
خصالاً تعلو بها الأقدار

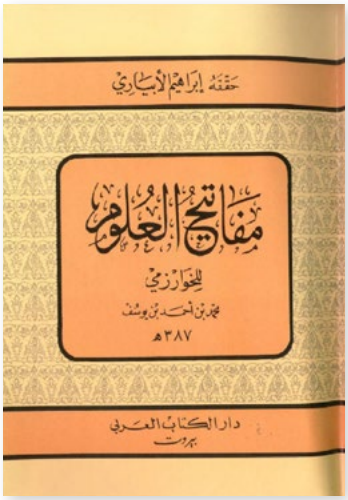

خطهُ روضةٌ، وألفاظهُ الأزهارُ
يضحكون، والمعاني ثمار

وأنشد الفقيه الشهير أبو بكر الشاشي الملقب بالقفال وكان عالما ورعا مجاهدا وله أبيات جميلة في الكرم يقول فيها:

أُوَسِّعُ رَحْلِي عَلَى مَنْ نَزَلَ
وَزَادِي مُبَاحٌ عَلَى مَنْ أَكَلَ
نُقَدِّمُ حَاضِرَ مَا عِنْدَنَا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ بَقْلٍ وَخَلّ
فَأَمَّا الْكَرِيمُ فَيَرْضَى بِهِ قب
وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَمَنْ لَمْ أُبَلْ

ولم يقتصر الشعراء في بلاد ما وراء النهر على مدح الأمراء والوزراء بل مدحوا المدن ووصفوها بأحسن الأوصاف كقول الشاعر البستي الذي عشق سمرقند:

للنّاس في أخراهم جنّة
وجنّة الدنيا سمرقند
يا من يسوّي أرض بلخ بها
هل يستوي الحنظل والقند؟

أما بخارى، فقد ذكرها في شعره شاعر اللسانين العربي الفارسي أبي عبدالله الرودكي (ت ٣٢٩) وقد حن الرودكي ومن معه إلى بخارى، عاصمة السامانيين عندما طال المقام بهم في هراة مع الأمير نصر بن أحمد الساماني فأنشد قائلاً:

أبشري يا بخارى، وعيشي طويلا
فإن الملك مقبلا ضيفا عليك
فما الأمير إلا بدر وبخارى السماء
والبدر يسري نحو النجوم
وماالأميرإلاشجرالسرووبخاريبستان
والسرو يسير نحو البستان

وحينما سمع الأمير هذا القول هرع مسرعا إلى بخارى، متأثراً بما سمع.

وقال الخطيب أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي ثم الخوارزمي وهو متشوق لها:

أأبكاك لما أن بكى في ربى نجد
سحاب ضحوك البرق منتحب الرعد
له قطرات كاللآلئ في الثرى
ولي عبرات كالعقيق على خدي
تلفت منها نحو خوارزم والها
حزينا، ولكن أين خوارزم من نجد؟

أما في النثر فقد برز أدباء طبقت شهرتهم الآفاق، ذكرهم الثعالبي في "يتيمة الدهر" والقفطي في "المحمدون من الشعراء" منهم الشاعر والأديب الشهير أبو بكر الخوارزمي، (ت ٣٨٣ هـ) ذكره الثعالبي بقوله : باقعة الدهر وبحر الأدب وعلم النثر والنظم. وكان الخوارزمي إماما في اللغة والأنساب وله حكم رائعة منها قوله : الغضب ينسي الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبريء جنايات.

ومما يؤثر في هذا الباب قول الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني: كن عصاميا ولا تكن عظاميا. أي سدْ بشرفك ولا تتكل على شرف أجدادك، يعتبر هذا الأمير المؤسس الحقيقي للدولة السامانية في بلاد ما وراء النّهر التي استمرت أكثر من قرن وعاشت البلاد أثناء عهد هذه الدولة عصرها الذهبي، وله اليد الطولى في استقرارها سياسياً، وجعل من بخارى، مركزا ثقافيا وحضاريا قصدها أهل العلم والثقافة من مختلف أنحاء العالم.

وفِي عهد الدوله الخوارزمية ظهر رشيد الدين الوطواط، حيث كان أديبا وكاتبا وشاعرا وعالما باللغة والنحو والأدب يكتب باللغة العربية واللغة الفارسيّة، ومما يدل على سعة عقله أنه كان ينشئ في حالة وَاحِدَة بيتا من الشعر بالعربية من بحر، وبيتاً بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معاً، وقال في أحوال الدنيا:

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت
وتحدث من بعد الأمور أمور

وتجري الليالي باجتماع وفرقة
وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظنّ أن الدهر باق سروره
فقد ظنّ عجزا: لا يدوم سرور

ومن علماء اللغة العربية أبو يعقوب السكاكي الخوارزمي عالم باللغة والنحو والصرف والبيان والشعر وفِي هذا المجال كتب كتابه "مفاتيح العلوم"

العلوم الشرعية

لقد كان للعلوم الشرعية النصيب الأعلى في بلاد ما وراء النّهر، ولو تأملنا في أسماء علماء الإسلام لوجدنا أن كثيرا منهم ينتهي اسمه باسم مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر كالبخاري والسمرقندي وغيرهم، وممن كان لهم الفضل والأثر العظيم في علم الحديث الإمام محمد بن إسماعيل البُخاري صاحب الصحيح الذي أثبتته الأزمان وأجمع جهابذة الإسلام أنه أصح كتب الأحاديث النبوية، وكان للعلماء البخاريين أثر عظيم في إثراء المكتبة العربية حتى أطلق الناس على هذه المدينة لقب بخارى، الشريفة، وفِي سمرقند برز المحدث الدارمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ) سليل قبيلة بني تميم عالم جليل أظهر في علم الحديث في سمرقند وذب عنها الكذب، وقد خرج من هذه المدينة علماء كبار ذكر منهم نجم الدين النسفي (ت ٥٣٧ هـ) ١٢٢٣ عالماً ممن كان بها أو زارها من العلماء، وكان المذهب الحنفي هُو الأكثر انتشارا في هذه البلاد إلى زماننا هذا، لذلك لو رجعنا إلى كتب طبقات الأحناف لوجدنا أن أغلبهم من بلاد ما وراء النّهر.

الحياة العلمية العربية

أما التأليف العلمي والأدبي في بلاد ما وراء النهر في صدر الإسلام كان باللغة العربية غالبا، فقد صُنفت مصنفات لها شأنها في تاريخ الحضارة الإسلامية، ومما ساعد على النهضة العلمية ظهور صناعة الورق في سمرقند، ومنها انتشر في سائر أنحاء العالم وكان سبب صناعته هي بعد انتصار العرب على الصينيين الغزاة لبلاد ما وراء النّهر في معركة طلاس سنة ١٣٥هـ أخذ العرب الأسرى إلى سمرقند ومنهم عرفوا كيف يصنعون الورق، وكان لهذا الحدث دور كبير في سرعة كتابة الكتب وسهولة نشرها، وظهرت المكتبات

الكبرى مثل مكتبة الأمير نوح بن نصر الساماني في بخارى التي ذكرها بن خلكان في قوله: عديمة المثل فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها ما لا يوجد في سواها.

ومن خيرة الكتب التي كتبت في تلك الأزمنة في اللغة العربية، الكتاب الشهير الذي صنفه محمد بن أحمد الخوارزمي "مفاتيح العلوم" وقدمة للوزير العتبي وكان هذا الكتاب يشكل بداية ظهور الموسوعات العلميّة العامة، وفِي الطب كان كتاب "القانون في الطب" للعلامة ابن سينا البخاري وهو الطبيب والفيلسوف الذي ملأ الدنيا علما وفضلا وكان شاعرا له أبيات جميلة لا تخلو من الفائدة الصحية:

اجعل غذاءك كل يوم مرة
واحذر طعاما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فإنه
ماء الحياة يراق في الأرحام

أما في الرياضات والفلك كان أشهرهما كتابي "الجبر والمقابلة" للخوارزمي، وكتاب "الكامل" لأبي العباس الفرغاني.

وأما البيروني العالم النحرير الذي فضل العربية على سائر اللغات رغم إتقانه للغات أخرى كالفارسية واليونانية والتركية والسريانية، فقد كتب هذا العالم مصنفاته بالعربية منها "القانون المسعودي" في الفلك والرياضيات وفلسفة الهند، وكتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" يحوي على معلومات واسعة عن الهند وعلومها، وقد أخذ هذه العلوم حين كان مع السلطان محمود الغزنوي في غزواته الهندية.

لم يبالغ الدكتور نصر الله بن مُبشِّر الطرازي في كتابه (تاريخ تركستان) في قوله أن بلاد ما وراء النّهر أو كما ذكرها باسم تركستان "أي أرض الترك" أنها أخرجت للأمة الإسلامية ثلث علمائها، لا سيما في علوم الدراسات الإسلامية كالحديث والفقه والعقيدة، وقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الأولى علميا وأدبيا في بلاد ما وراء النّهر رغم مزاحمة اللغات المحلية الأخرى كالتركية والفارسية إلى أن جاء الغزو المغولي الذي لم يكتف بتحويل المدن من إعمار إلى دمار بل ألغى وجود اللغة العربية تماماً.

مادحة الرسول ﷺ فِطْنَتْ هانم

بقلم: مرفت أمين الشبراوي *

يا مبدأ العالم وسبب الموجودات... ويا صاحب الأخلاق الحسنى ويا عالي الصفات... أيستطيع البشر أن يكونوا مادحين لك... وقد نزلت في وصفك الآيات:

إن خلقك هو باعث خلق جنان الفردوس
وعنايتك هي الدافعة لإدخالنا فيها
يا سيد الرسل إن الأمل في شفاعتك
هو السبب والباعث لكثرة ذنوبنا
يا فخر الأنبياء وصاحب المعراج
كل فقير وسلطان على عتبة بابك محتاج

هكذا بدأت الشاعرة العثمانية "فطنت هانم " ديوانها بمدح النبي ﷺ، ولم يكن مدحًا عاديًا كما يفعل الشعراء ؛ بل هو مدح صوفي مغرق في تصوفه، عميق في روحانيته، متفلسف في معانيه التي هي أمشاج من الأفكار السائدة في ذلك الوقت، وهي فلسفة "وحدة الوجود" التي حمل لواءها أكثر المتصوفين وشعراؤهم.

❑ ❑ ❑

سليلة بيوت شيوخ الإسلام

في بيت محمد أسعد أفندي أبو إسحاق، إسماعيل أفندي زاده (1096 – 1166هـ/1685–1753م) شيخ الإسلام في عهد السلطان محمود الأول، ولدت الشاعرة العثمانية "فطنت خانم" أو "هبة الله" أو "زبيدة"، وهو اسمها الحقيقي الذي أجمع عليه مؤرخو الأدب العثماني[1].

في القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري كانت "فطنت هانم" متربعة على عرش الشعر التركي؛ حتى أطلق عليها "معلم ناجي" لقب "ملكة الشاعرات"، وقال: "فطنت أو زبيدة مفخرة للنساء العثمانيات، وهي ذات بلاغة نادرة؛ لا تناظرها أية شاعرة من شواعر الترك قبل التنظيمات"[2].

(1) Islam Ansiklopedisi , Cilt 36, s. 626

(2) معلم ناجي : أسامي استانبول ، 1308هـ ، صحيفة 249 ، نقلاً عن: زينب أبو سنة : الشعر النسائي العثماني، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة، 2002م، ص 77 .

* كاتبة مصرية.

كان والدها شيخ الإسلام - وهو أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية ويأتي في الترتيب الإداري بعد السلطان والصدر الأعظم - أديبًا وشاعرًا وموسيقيًا ومنشدًا ماهرًا؛ بالإضافة إلى كونه فقيهًا وعالمًا، وقد ترك العديد من المؤلفات في البلاغة والأدب والشعر والموسيقى، إلى جانب مؤلفاته في اللغات والتفسير[3].

وكان ذلك هو المعين الأول الذي استقت منه حبها للأدب، وفتح أمامها آفاق الفنون والإبداع.

كما أن شقيقها أيضًا محمد شريف أفندي، أسعد زاده (1130-1204هـ / 1717 - 1790م) هو شيخ الإسلام في عهد السلطان عبد الحميد الأول، وتولى منصب مشيخة الإسلام مرة ثانية في عهد السلطان سليم الثالث.

وكان محمد شريف أفندي أيضًا مثل والده شاعرا إلى جانب كونه عالماً وفقيهاً؛ حتى أنه كتب الشعر باللغات الثلاثة المعروفة في العصر العثماني، كلغات للعلم والأدب والثقافة (العربية، العثمانية، الفارسية)، وله ديوان شعر[4].

في هذه البيئة الدينية والأدبية والموسيقية نشأت فطنت هانم، كما أنها عاصرت أحد أشهر شعراء الترك وهو "راغب باشا"، كذلك "نابي" ونستطيع بسهولة أن نلمس تأثير وانعكاس أشعار هؤلاء وأفكارهم وفلسفتهم في شعر "فطنت".

الأحزان تنفث شعرًا

يروي مؤرخو الأدب التركي جانبًا من منغصات حياتها، والذي اعتبروه عاملاً جديدًا في نفثات شعرها؛ حيث قالوا: "ولمن بلغت سن الشواب، وتهيأ أن تكون ذات بعل، زوجها أبوها من رجل يقال له "درويش أفندي"، وكان رجلاً ساقط الهمة، جافي الطبع، راكد النسيم؛ فأساء عشرتها، ونغص عليها عيشها، فدام الشقاق، وعز الوفاق، وطالت بها الأيام في هم واكتئاب وشقوة وعذاب، فكانت تلتمس في قرض الشعر تنفيسًا عن كربتها"[5].

❑ ❑ ❑

إذا ابتسم الحبيب

فللحياء حمرة في خدود الورد

وإذا انثنت غدائره

ثنت الزهور رؤوسها غيرة وحسدًا

(3) أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، الأردن، 2002م ، جـ 2 ، ص 23

(4) أحمد صدقي شقيرات: مرجع سابق ، جـ 2 ، ص 90

(5) حسين مجيب المصري : من أدب الفرس والترك، ص 185

لي من فؤادي أضعف الطيور

ولك من لحاظك نظرة الصقور

فالفؤاد صيدك

وإن كان عنقاء تكبرًا أن تصاد

إن كان ثغرك كما لم يفتح

فليهنك أن الندى دمعي

وهل تنفتح الأكمام

إلا لتساقط الأنداء

إن كنت تأملين أن تموتي غرامًا يا فطنت

فكوني قبل ذهابك ثرى عند أبواب أحبابك[6].

تعددت أغراض الشعر في ديوان فطنت[7]، وهو يبدأ كعادة معظم شعراء الديوان بمناجاة الله تعالى، ثم مدح الرسول ﷺ، ثم شعر المناسبات، وكذلك الغزليات.

تميزت أشعارها بالفصاحة، وامتلكت هي مهارة لغوية فائقة، ورغم تأثرها بشعر المدرسة الفارسية؛ إلا أنها كانت ذات نزعة رومانتيكية.

وبالإضافة إلى التصوف والحكمة اللذين يصبغان معظم شعرها، شغلت الفلسفة والحب جانبًا غير قليل في أغراضها الشعرية وقصائدها.

وقد تميز شعراء مدرسة الديوان - التي تنتمي إليها فطنت - بالاهتمام الشديد بالعقائد الإسلامية والتعاليم الصوفية، كغرض من أبرز الأغراض الشعرية، وكذلك الحديث عن الإلهيات والإيمان ومدح الرسول ﷺ، وها هي تقول في إحدى مدائحها النبوية:

حقًا إن رحمة الله "الحق" بلا حدود،

وعطاؤه واسع

لقد فاض جيش المعاصي يمينًا ويسارًا

فاحذر أيها القلب ولا تنس أن مخاوف

هذا الطريق خطرة

ولتحن رأسك قليلاً في كمين الفكر

وتستر جسدك بخرقة الملامة

إن الرسول إمام لكافة أرواح الأنبياء

والكل اقتدى به قلبًا وروحًا

ولتجعل من نفسك أنت أيضًا تابعًا لأثر

تلك الذات الطاهرة

فهو خير هادٍ لهذا الطريق

إن جملة الخلق يجدون السلامة في هذا

الطريق[8].

(6) حسين مجيب المصري : تاريخ الأدب التركي ، ص 165

(7) طبع ديوان شعر فطنت هانم في استانبول، في مطبعة تصوير أفكار، سنة 1286هـ /1871م

(8) زينب أبو سنة : مرجع سابق، ص 95

روح الدعابة

كانت حياتها الزوجية غير الموفقة يمكن أن تكسر روح هذه الشاعرة مرهفة الحس، لكنها بذكائها الاجتماعي، وثقافتها المتعددة، وعلاقاتها الاجتماعية الواسعة، استطاعت أن تجد في روح الدعابة والمرح مهربًا من ذلك. ومن القصص المشهورة عن دعاباتها مع واحد من شعراء عصرها، ويدعى "حشمت"، ما رواه جيب في كتابه "تاريخ الشعر التركي":

"يقال إنها خرجت في عيد الأضحى لشراء أضحية، فوقفت عند جامع بايزيد، وهي تجيل النظر في قطيع الخراف لتشتري منه كبشاً، وبالصدفة كان واقفًا بجانبها الشاعر "حشمت"، فالتفت إليها وجاذبها أطراف الحديث، وسألها عما جاء بها، فقالت له إنها جاءت لشراء أضحية، فأحب حشمت أن يداعبها، فقال: إنني أقدم نفسي قربانًا، فبادرته بقولها: أنت معيب القرن، ولا تحل أضحية بهذه الصفات"[9].

وتكرر هذا المشهد الهزلي مع نفس الشاعر عندما كان يمر أسفل منزلها، وأرادت أن تسخر منه؛ حيث كان خفيف اللحية والشارب، فأمرت خادمتها أن تنظر إليه من النافذة وتسخر منه، وتشبهه بطائر اللقلق، فلما بادلها السخرية أمرت جاريتها بكلمات تقولها له، فيها ما فيها من السخرية القوية التي تتجاوز حدود وتحفظات المجتمع، لكنها ذات دلالة على الاعتداد بالنفس، والتحرر الذي يتناسى القيود، وعلى رغبة كبيرة في الهزل هروبًا من حياة زوجية تعيسة[10].

ومما يروى أيضًا من نوادرها في الهزل، وسرعة البديهة في الرد، أنها كانت تتجول في السوق المغطى ذات يوم، ومعها خادمتها، وإذ بالصدر الأعظم "قوجه راغب باشا" يسير خلفهما وبصحبته الشاعر "حشمت"، ولأن هذه الفترة من السنة في شهر مارس/ آذار تعرف بـ "برد العجوزة"، وهي فترة برد وصقيع، فقد أراد راغب باشا أن يرميها بكلماته، فقال: إن برد هذه العجوزة أيضًا يجمد الأجواء، فأدركت فطنت أنها المقصودة وليس الجو، فقالت: وفي إثرها أيضًا يأتي الثور. وكأنها تقصد بذلك عاصفة الثور التي تعقب برد العجوزة[11].

❑ ❑ ❑

أما أجمل المدائح النبوية التي كتبتها فطنت، فهي التي تقول فيها:

إن الشمس لتبدو ورقة أعدت لتكتب عليها صفاتك

(9) Gibb: A History of Ottoman Poetry, London, 1910, p. 153.

(10) حسين مجيب المصري : تاريخ الأدب التركي ، ص 165 .

(11) عبد الرزاق أحمد: نوادر العثمانيين .. مواقف وأحداث عن الحياة والتاريخ العثماني، بروج ، القاهرة ، 2018م، ص 110

وبإشارتك انشق القمر إلى شقين

ذاتك الشريفة هي مصداق " لولاك"[12]

الحق جعل لك تلك القدرة على سائر الرسل

وجعل وجودك الطاهر مليئًا بنور رحمته

* * *

أنت حبيب الله وسيد الورى

ومن أجل اسمك الظاهر خلقت السماء والأرض

يا من أنت صاحب الرسالة وسلطان الأنبياء

وقد جعل الله خاتم نور نبوتك زينة لبنان الرقة بالعزة والجلال

* * *

يا من أنت الشمس الدافئة في مشرق الكمال

والقمر الفضي اللون الهلالي الشكل هو ركاب لفرسك الأشهب

وقبل أن يخلق الحق " سبحانه " العالمين بمائة ألف عام

خلق جل جلاله جسدك الطاهر للبعثة

وجعلك بداية كل الرسل ونهايتهم

* * *

يا مفخرة للعالمين ويا سيد البشر

جاء إلى باب رفعتك الشمس والقمر

إنك زهرة في شجر ورد رياض النبوة

وقد يغرد البلبل في روض مدحك ذات سحر

بهذا الغزل المفعم بالبلاغة

❑ ❑ ❑

وفاتها

لم يعرف المؤرخون تاريخ مولد فطنت، كما اختلفوا أيضًا في تحديد تاريخ وفاتها، فبعضهم قال: إنها توفيت سنة 1194هـ / 1780م، والبعض أورد أنه في سنة 1215هـ / 1800م.

كما أن قبرها ظل مجهولاً ؛ رغم أن مقابر عائلتها معروفة في حي الفاتح في استانبول، في محلة " تشار شنبه " عند مسجد جدها، ولعل ظن البعض يكون صحيحًا في أنها دفنت بجوار جامع "أيوب سلطان" في استانبول[13].

(12) إشارة إلى أثر منتشر بين الأتراك يقول « لولاك ما خلقت الافلاك» وهو حديث موضوع

(13) بروسه لي محمد طاهر: عثمانلي مؤلفلري، استانبول، 1333هـ، جلد 2 صحيفة 368 .

شعر

المولد النبوي الشريف

بقلم: ندى يوسف الرفاعي*

قـالـوا أنـفـرحُ؟ هـل تُـراهُ يـجـوزُ؟
لا تـعـجـبـوا! الـمـقـطـوعُ كـيـف يُـجـيـزُ؟
هـم يـفـرحـون لـكـل حـادثـةٍ جـرت
ولـعـيـدِهـم وفـدت إلـيـه رمـوزُ
يـتـسـابـقـونَ لـمـدحِ كـلَّ مُـعـظَّـمٍ
ويـراعُـهُـم لـنـبـيـهـم مـجـزوزُ

* شاعر عراقي.

هـم يـفـرحـون إذا تـزايـد مـجـدهـم
ولـذِكـرِ مـولـدِ خـيـرِهِـم ، هُـم شِـيـزُ
أيـنَ الـغـرامُ وأيـن أيـنَ خِـطـابُـهـم
فـي كـلِّ وادٍ هَـيـمـةٌ وطـروزُ
مـا بـالـهـم صـمـتـوا وخـاب قـريـضُـهـم
وكـأنـمـا مـيـزانُـهـم مـهـمـوزُ
أقـلامُـهـم نـكـصـت وجـفَّ مِـدادُهـا
نـفـدت مـيـاهُ الـبـئـرِ فـهـي نـكـوزُ
فـقـدوا الـمـشـاعـر والـمـحـبـة والـجـوى
فـالـقـلـبُ خـاوٍ والـشُـغـافُ عَـجـوزُ
واللهُ قـد مـدحَ الـنـبـيَّ بـقـولـه
(خُـلـقٌ عـظـيـمٌ) ، هـل بـذاك غـمـيـزُ؟**
والله ذكَّـرَ فـي الـكـتـاب بـفـضـلـه
فـبـذلـكـم (فـلـيـفـرحـوا) ويـفـوزوا***
يـا أيـهـا الأحـبـابُ هـلَّ ربـيـعُـكـم
سـلّـوا سـيـوفَ الـشـعـرِ فـهـو هـزيـزُ
هـاتـوا مـن الـقـول الـبـديـعِ لآلـئـاً
لـيُـشـاعَ فـي الأرجـاءِ ذا الإبـريـزُ

* * (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم). القلم (4).
** * (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُون). يونس (58).

واستكثِروا مدحاً بذكرى مولدٍ
جُعلت له الآياتُ والتجهيزُ
فرحاً بمن صلى عليه إلهَهُ
واللهُ ربٌّ خالقٌ وعزيزُ
جاء الربيعُ فيا لها من فرحةٍ
جاء البشيرُ وإنه لرميزُ
جاء الربيعُ بنورهِ وجمالهِ
جاء الحبيبُ وإنه لمزيزُ
جاء الربيعُ فكيف لا نسمو به
في العالمين وإنه لبروزُ
صلى عليك الله يا خير الورى
وحَدا بركبِكَ عاشقٌ وهَميزُ
صلى عليك الله يا بدر السما
وشدا بحبك في السحابِ رزيزُ
صلى عليك الله يا غَيثاً همى
أنت العطاءُ، فأينَ منك كنوزُ
والآلِ والأصحابِ مَن أحبَبتَهم
ما فاز بالمختارِ غيرَ رُكوزُ

95 البيان العدد 581 ديسمبر 2018

رجل العلم والأخلاق الذي رحل عنا

بقلم: طلال سعد الرميضي*

يغمر قلوبنا الحزن ونحن ننعي رجل الأدب والفكر والثقافة المغفور له- بإذن الله- عضو رابطة الأدباء الكويتيين الأستاذ الدكتور عبدالله أحمد المهنا، الذي فقدته الكويت كأحد أبرز أعلامها الذين قدموا أكاديمياً وعلمياً جهوداً حثيثة لنهضة وطننا الحبيب- الكويت.

والدكتور عبدالله، يرحمه الله، من الشخصيات الأدبية التي تخلد في الذاكرة، ليس لإنتاجها الأدبي المميز فحسب، بل لسمو مكانتها ورقي خلقها وهو خلق كبار العلماء وتواضعهم الجم مع الآخرين، حيث كان لا يبخل على السائل بمجرد جواب، بل يستفيض بما تسعفه معرفته ويجود بالتوسع والشرح بطريقة محببة وجميلة لا يمل المستمع إليه.

والمطّلع على سيرته العلمية الثرية يستغرب عدم انضمامه لكيان رابطة الأدباء إلا متأخراً في عام 2014م، بالرغم من حضوره لبعض فعالياتها التي تتعلق بمعشوقته اللغة العربية منذ سنوات طويلة وما يلاقي من تقدير جم لشخصه الكريم من كبار وصغار أعضاء الرابطة.

والجدير بالذكر أنني بعد تولّيي أمانة الرابطة استغربت عدم وجود هذه القامة الأدبية بين أسماء أعضائها وتطفلت بالسؤال إليه حول عدم انضمامه للعضوية وذلك في إحدى ندوات الرابطة، فكان الجواب بسيطاً بأنه لم يجد وقتا يسعفه لتقديم الطلب، وقلت له بأن قرار قبول مجلس الإدارة لعضويته هو قرار كاشف وليس منشئا، لأنه مستحق العضوية تلقائيا لما قدمه من منجزات أدبية أثرت المكتبات العربية، فوافق على تقديم الطلب بعد إلحاحي عليه، وتم الاتفاق مع الزميل الأستاذ عدنان فرزات على تسليمه نموذج الطلب في مكتبة عبدالعزيز البابطين للشعر العربي لكونه مستشاراً لمركز البابطين لحوار الحضارات، وفور وصول طلبه تم عرضه على الزملاء بالمجلس وتم قبول عضويته، فأبلغته بذلك، فكان رده على تطفلي وإصراري معه هو ابتسامته الرقيقة مع كلمة «شكراً» بصوته الهادئ الشجي، يرحمه الله.

إن مثل هذه القامات الثقافية الكبرى تعمل بصمت وتنجز من دون ضجيج أو شوشرة، فكان صادقاً مع قلمه وعلمه، فحصد الإعجاب والثناء في حياته الكريمة، وبعد رحيله فهو من القدوات الحسنة التي يجب على الأدباء وزملاء القلم الاقتداء بسلوكهم الحميد.

ختاماً - لا شك إن ملف "البيان" عن الفقيد هو واجب نعتز بالقيام به في رابطة الأدباء، داعين الله عز وجل أن يسكنه فسيح جناته لما قدمه من علم ينتفع به وهو ولي العلماء والصالحين.

* أمين عام رابطة الأدباء الكويتيين - المشرف العام على «البيان».